الـــــزواج

فالزواج ، هو تكامل العلاقات التي تتأسس علي تكوين عائلة جديدةمن ذكر وأنثي = من رجل وامرأة . وفي تنظيم ، وتيسير هذه العلاقات ، فإن كل الأطراف ليسوا بأحرار في ذلك ؛ فالمجتمع الذي تُشكله القيم ، والدين والقانون هو طرف مباشر في هذه العملية ، وهو صاحب الكلمة في عقد الزواج ، وله الحق ، واالسلطة المباشرة في الإشراف والمراقبة . هذا بالرغم من أن بعض الحقوقيين يعرفون الزواج علي أنه شكل من أشكال التوحد ، أو الترابط المشروع بين رجل وامرأة بهدف تكوين أُسرة جديدة ، وأن يتعهدا بالصدق والتعاون فيما بينهم .

الزواج ، يُعتبر المرحلة ، أو لنقل المحطة الثانية في الحياة والتى تلي مرحلة الميلاد مباشرة .. هذا الحدث المهم بالنسبة للذكر والأنثي ، والذي يُعد بداية تأسيس سقف الزوجية .

من يستطع منكم الباءة فليتزوج

يُفسر تفسيرات مختلفة للأديان ، والثقافات والمجتمعات المختلفة .. والمجتمع الشرقي ، والدين الإسلامي يوليان الزواج أهمية قصوي ، ويدعمانه ويدعوان إليه ، ويحرضان عليه في الموروث ؛ هناك أعتقاد ثابت أن أمور مَنْ يبني داراً أو يشتري منزلاً، أو يتزوج تكون أموره كلها ميسرة ، ولا يشعر بخوف ، أو وجل من الإقتراض لهذا الغرض .. وإحدي واجبات الوالدين إظهار الرغبة في تزويج الأبناء ، والعمل علي ذلك ، والسعي إلي تحقيقه .. وفي الزواج تتحدد أدوار الكبار ..

الزواج يخلق نوعًا من التقارب ، أو القرابة بين العائلات "النسب عصب .. وإن صح يصبح قرابة .." .. وهكذا ، فإنه ينتج ذاتياً نوعاً من التساند ، والتعاضد الإجتماعي بين العائلات هذا ، بدوره ، يُنظم العلاقة الإقتصادية ، والإجتماعية داخل المجتمع .. فالرجل والمرأة المتزوجان ، يكون كل منهما ، عنصراً أكثر فاعلية ، وإنتاجية إجتماعيًا ، وتوازناً وعطاءً في بناء المجتمع ..

تسمح المجتمعات الشرقية المسلمة بتعدد الزيجات ، وتحض علي زيادتها في

بعضه . . وتحد منها في البعض الآخر حرصاً علي تحديد النسل ، وإن كانت تركيا الدولة قد طبقت القانون المدني في العصر الجمهوري ، وبينت مواد هذه القانون كيفية عقد الزواج ، وشروطه ، وأشكاله ، إلا أن المجتمع التركي المسلم في القري ، والقصبات ، والأحياء الشعبية ، مازالت عناصره تحرص كل الحرص علي الموائمة بين الشريعة ، والقانون المدني . .

ومما لاشك فيه ، أن خطوات الزواج في المجتمعات الشرقية المسلمة متشابهة إلي درجة التطابق . . حتي ولو أختلفت المسميات من مجتمع إلي آخر ، وتنحصر في الخطوات التالية :

١- اختيار الشريك

الزواج حدث مهم ، ومقدّس . . ومن هذا المنطلق ، فمن الطبيعي أن يكون الحرص علي أختيار الشريك من الأمور المرعية . . ولابد أن عوامل العصر ، وظروف الحياة الراهنة ، قد فرضت بعض النقاط المؤثرة في عملية إختيار الشريك في الحياة المستقبلية . . وخاصة الحسب ، والنسب ، والأصالة ، والعائلة والمستوي الثقافي ، والموقف المادي . . والجمال الجسدي ، والمعتقد الديني ، والحياتي ، والمهنة ، وماشابه ذلك ، كما تلعب المقاييس دوراً مهمًا في أختيار شريك الحياة . .

وما زالت طرق إختيار الزوجة في بلداننا الشرقية حتي أيامنا الراهنة تتم بإحدي الوسائل التالية :

١- طريق الخاطبة . .

٢- أخذ موافقة الشباب علي ماتختارة العائلات . .

٣- قيام الشباب بإختيار الشريك مع الحرص علي رضاء الوالدين . .

وحتي لو كانت هناك أشكال أخري ، يتم فيها الزواج دون رضاء الأبوين . . ويترتب علي ذلك العديد من المشاكل . . ولما كان ذلك ، يخرج عن نطاق ما رسمناه لموضوعنا فلن نتحدث عن هذه الأشكال التي طرأت علي مجتمعاتنا الشرقية في السنوات الأخيرة من القرن الحالي .

وبنفس الشكل ، فإن مجتماعاتنا كانت تعرف نوعاً من الإختيار للشريك الآخر ،

وفقًا لبعض العادات ، والتقاليد ، ولكنها بدأت في الإنحصار لما ينتج عنها من مشاكل .. ذلك هو – إرتباط المهد – أي الإتفاق علي زواج الآقارب ، منذ مولد الطفلين ،وهما ما زالا في المهد .. ولكن حفاظًا علي صحة الاجيال القادمة فقد بدأت العائلات من تلقاء نفسها تتهرب من زواج الآقارب ..

الإتفاق - قراءة الفاتحة :

– بشكل عام ، ومهما كانت طريقة التعارف ، فالمعتاد أن عائلة الفتي ، بشكل من الاشكال ، تبعث إلي أهل الفتاة ، تُعرب عن رغبتها في الزيارة ، وتطلب لذلك موعداً .. ويتقرر الموعد ، ويتحدد يوم الزيارة ..

– والمعتاد أن أهل الفتاة ، يختارون الموعد بعد بضعة أيام ، وعقب صلاة المغرب ، أو العشاء .. أو بعد طعام العشاء ، ينتظرون بشكل شبه جماعي الضيف القادم ..

– في بيت الفتاة ، عدا واجب الضيافة ، تكون هناك إستعدادات أُخري .. وحسب الوضع الإجتماعي للبيت .. تكون الدعوة علي فنجان من الشاي .. وتصدر التعليمات للفتاة بحسن المظهر ، والسلوك ، وعدم إظهار اللهفة .. وأن يكون الفستان ، أو الملبس بسيطًا ، وجميلاً ، مع مراعاة البساطة في المكياج ، وأن تستقبل الضيوف بزينة ، وحليات معتدله .

– يتم اللقاء ، وبعد السؤال عن الحال ، والأحوال ، وتقديم تحية الضيف من مشروب مناسب .. يتم فتح الموضوع من قبل أكبر الموجودين مع الفتي سناً ...

– يكون في هذه الزيارة مع الفتي ؛ أبيه ، وأمه ، والجد ، و الجدة إن كانوا موجودين .. وإلا فالعم ، أو الخال مع زوجاتهم ..

– يقوم المخوَّل بالحديث ، وبإسلوب لطيف ، ومناسب بالإعراب عن سبب الزيارة ، وأنهم جاءوا لطلب يد الفتاة .. ويكون ذلك بالشكل المعتاد في المجتمعات الإسلامية .. "بأمر الله .. وعلى سنة رسوله ..."

– المخوَّل من قبل عائلة الفتاة .. وفقاً للعادات ، والآعراف السائدة في مجتماتنا الشرقية .. يكون مجمل رده .. طلب مهلة من الوقت للتفكير .. وسؤال الفتاة ..

والتأجيل لبعض الوقت .. أما إذا كان الشابان قد إتفقا .. وسبق أن نقلا موافقتهما علي هذا الإرتباط ، فلا يكون هناك داعي للتأجيل ..

– وإذا لم يكن والد الفتاة موجوداً .. فإن الخال ، أو العم ، أو المخول بالحديث عنها، يرد قائلاً .. "علي بركة الله .. طالما الأولاد يعرفان بعضهما ، ويرغبان في ذلك .." أو ما شابه ذلك من الردود التى تُعبر عن الموافقة .

– بعد ذلك يتم تبادل التهاني والدعاء بإتمام الزواج .. وبالسعادة ويتم تقبيل أيدي الكبار .. ويقدم الشربات .. أو الشاى والجاتوه .. أو الحلويات مع الدعوات وبعض من الزغاريد ، وينتهي الكلام بقراءة الفاتحة .. أو الدعوات الصالحات التي تُنبيء عن حسن النوايا ، وطلب الخير لهما ..

– يحدد الأطراف في نفس الجلسة ، الموعد المقترح للخطوبة أو الشَبْكَة .. والفرح .. ويمكن أن يتطرق الحديث لحفل الخطوبة والعرس ، وهل سيتم ذلك ، أو يكتفي بمراسم بسيطة ، وإذا كانت ستتم حفلة الخطوبة .. فكيف .. وأين .. ومتي.. وكم عدد المدعوين .. وما شابه ذلك من الإجراءات .. ويمكن أن يتم الإتفاق علي الموعد المقترح تقريباً لموعد الزواج .. الهدايا المتبادلة .. قيمة هدايا الخطوبة .. ونوعياتها.. وتأسيس العش الجديد ، ودور كل طرف .. ومن الممكن أن تُترك هذه الأمور لموعد آخر مناسب .. ولا يتم التنويه عنها في هذه المقابلة .

– لا يهمل أهل العريس عند حضورهم إلي هذه الزيارة الأولى في أحضار بعض الحلوي .. كالجاتوه ..أو الشيكولاته مع بعض الورود أو الأزهار ..

– في الأيام المعاصرة .. تم أستحداث خاتم الفاتحة .. أو خاتم الإتفاق في بعض المجتمعات الشرقية كتركيا كتأكيد للقبول ، أو السماح للشابين بالتجوال سوياً ... ومهما كانت المجتمعات الشرقية فإن حفل قراءة الفاتحة .. أو الإتفاق لا تخرج عن هذا كثيراً ، وإن كانت بعض المجتمعات المحافظة ، والتي لا تُتاح فيها الفرصة لأي لقاء بين الفتى والفتاة ، أن تذهب والدة الفتي ، أو أُخته ، الكبرى ، أو عمته ، أو خالته إلي أم الفتاة المرشحة كزيارة عادية ، وتقوم بالتعرف علي الفتاة ، ومراقبتها ، بل وفحصها ، ثم تنقل كل ذلك إلي الفتى ، مع إضافة وجهة نظرها .. فإن حازت القبول .. تتم الخطواط السابقة تقريباً ..

الدعـــوات المتبادلـــة

– بعد قراءة الفاتحة ، وفي غضون فترة معقولة ، تقوم أُسرة الفتى بدعوة أُسرة الفتاة على طعام العشاء غالباً ، أو الغذاء نادراً . .

– تتم هذه الدعوة بهدف تعميق التعارف من ناحية ، ومن ناحية آخري مناقشة باقى التفصيلات المتعلقة بإتمام هذا الزواج . .

– ولا تهمل عائلة الفتاة حمل بعض الحلويات عند التوجه إلي منزل الفتي انطلاقاً من المقولة التى مفادها . . من "ياكل حَلْوَى يتحدث حُلْواً . . " "حلّي بُقى يْحلىٰ كلامي . . " .وبهذا يصبح أهل الفتاة مدينين بدعوة مماثلة . .

وضع الفتى والفتاة

يختلف الوضع من عائلة إلي آخري حتي داخل المجتمع الواحد ؛ فبعض العائلات تسمح بتقابل الفتى والفتاة فى منزل أحدهما .

– غالباً ما يكون منزل الفتاة – والبعض يقبل بالخروج الجماعي مع الأسرة ، أو الأسرتين سوياً ، والبعض يشترط خروج طرف ثالث معهما كالأخ ، أو إبن الأخ ، أو الأخت . . الخ .

– المهم أن تُتاح الفرصه للمرشحين بالتعارف الجيد فيما قبل الزواج . .

الخطوبة ..الشبكة

تقوم العائلتان ، أو الشابان معاً بتحديد الموعد المناسب لإتمام حفل الخطوبة . أو يقوم المخولان بهذا التحديد . . بحيث يكون التوقيت مناسباً للجميع .

تتم الخطوبة باحد الشكلين التاليين ؛ إما الإكتفاء بإحتفال عائلي في منزل العروس لإ لباس الدبلة . . ويكون بشكل مبسط ، ومحدود . . أو إتمام الخطوبه في صالون باحد الفنادق أو في قاعة من القاعات المعدة لمثل هذه المناسبات ، وتكون وسط زحم من المدعووين . .

في كلتا الحالتين ، طرف الفتاة هم الذين يتحملون النفقات . . .

خصوصيات الحفلة

تحرص فتيات كلا الطرفين بإرتداء الفساتين الجميلة ، ذات الألوان المبهجة بشكل عام فى هذه الحفلة .. وكلهن يعملن مكياج خفيف .. خاصة العروس ، وأخواتها ، وصحباتها .. أما الفتي فيرتدي بدلة كاملة ، ويحرص علي المظهر الملائم ..

– إذا كانت الخطوبة ستتم فى المنزل ، فيتم تحديد عدد الحضور وفقاً لإتساع المكان المتاح ، ويُعلن أهل الفتي بالعدد المقترح قبل الموعد بوقت كاف ، غالباً ما يتراوح بين أسبوعين أو ثلاث .. ولا يخرج مضمون الإعلام بذلك عن المعني التالي : "تدبرنا في الأمر .. ووجدنا ان المكان يتسع لكذا نفر من المدعووين .. فليكن النصف لكم والنصف لنا .. وليتفضل الضيوف بالحضور فيما بين الساعه"

– أو ، فليتفضل الحضور بعد صلاة المغرب .. أو صلاة العشاء .. أو عقب صلاة العصر .. " إن كانت في القري أو في الضواحي .."..

– بناءاً علي العدد المقترح لكلا الطرفين ..يقوم كل طرف بإختيار مدعوويه ..

– تتهيء أسرة الفتاة لهذه المناسبة ، بالإستعداد لتقديم واجب الضيافة والكرم حسب الظروف المتاحة .. أو المناسبة أو المتفق عليها .. احياناً يقدم الطعام ، ومعه الشربات ، والحلويات ، والمشروبات .. ليست هناك قواعد ثابته بهذا الصدد .. بل تختلف بإختلاف البيئة ، والمستوي ، والمجتمع .. المهم هو إكرام الضيوف مع البعد عن الإسراف ، والبذخ في أكثر المجتمعات المعاصرة..

– جرت العادة في معظم المجتمعات الشرقية ، أن يقوم كبار العائلتين مع بعض الآقارب المقربين وبصحبة الفتي والفتاة بشراء ذهب الشبكة ودبلة الخطوبة وملحقاتها قبل موعد حفل الخطوبة .. غالباً ماتكون دبلة الخطوبة من الذهب ..وإن كانت بعض المجتمعات أستبدلت الذهب بالفضة بالنسبة للذكور .. ويُكتب عليهما أسمي الخاطبين وتاريخ الخطوبة .. جري العرف ألا ترتدي الفتاة الخاتم الماس إلا بعد عقد القران ..

– توضع دبلتي الخطوبة في علبة خاصة بهما .. غالباً ما يفضل ان يكون لونها

أحمر .. وتحرص بعض المجتمعات الإسلامية المشرقية علي أن تربطهما قبل الخطوبة بشريط أحمر .. ويوضعا مع بقية مجوهرات الشبكة علي صينية صغيرة من الفضة..

– يحرص أهل الشاب ، وهم متجهون إلى منزل الخطيبة علي إصطحاب طبق من الفضة ، أو صندوق أو علبة ظريفة يمكن الإحتفاظ بها كذكرى لهذه المناسبة السعيدة ، وتكون مملوءة بنوع جيد من الشيكولاته ، كما يحرص الفتي علي إعداد "بوكيه" من الورود ، أو الزهور يَحضره معه للفتاه التي سيخطبها ، ويسلمه لها بنفسه.. لا يتم التقيد بهذا في بعض المجتمعات الحضرية أو القروية أو المحافظة .. ويستبدل ذلك بآشياء آخري .

– تحرص الفتيات علي الإحتفاظ بهذا الطبق أو الصندوق الفضي ، أو العلبة الظريفة المقدمة لها في الخطوبة ، وتضعها في مكان مناسب في غرفة النوم مع المقتنيات الآخري .. وبعد الزواج ، ومرور الزمن تحكي عن ذكرياتها الجميلة لأطفالها، أو المقربين إليها ، وتخرج الصندوق ، أو الطبق الفضي لهم وسط فرحة وذكريات جميلة .. وأحياناً ماتورث بعض الأمهات هذه المقتنيات الفضية لبناتهن ..

إلبـــاس الـدبلـة

بعد أن يحضر الضيوف ، ويبدأ حفل إلباس الدبلة .

– يجلس الفتي والفتاة إلي جوار بعضهما .. الضيوف في أمكنهم .. تقوم أم الفتاة ، أو أختها ، أو إحدي قريباتها ،أو صديقتها المقربة بإحضار صينية الشبكة .. إذا كان الحفل في المنزل يقوم الشخصية التي إرتضتها الأسرتان(الجد .. الرئيس .. قريب مهم .. عالم جليل .. سياسي معروف ..) بإرتجال كلمة قصيرة .. وتقدم الدبلتان بالتبادل .. يقوم الفتي بإلباس دبلة الفتاة أولاً ، ثم تتلوه الفتاة ، وسط التصفيق ، وعلامات الفرحة ، والبهجة .. ويتم قص الشريط الأحمر الذي يربط الدبلتين في بعض المجتمعات ...

– خلال هذه االفتره لا يتوقف التصفيق من الحاضرين ، وتنطلق الزغاريد من حين لآخر .. أو تُعزف الموسيقي إن كان الحفل في صالون خاص بهذة المناسبات . يوزع الشربات ، و الحلوي .. وتُفتح علبة الشيكولاته .. يُقدم منها للخطيبين ، والمقربين..

لتحلو الأفواه فيحلو الحديث والسمر .. وتبدأ الضيافة .. تُلتقط الصور ، ويتبادل الأهل ، والآقارب ، والصحبة ، والأصدقاء الأماكن لإلتقاط الصور بهذ المناسبة السعيدة مع المحتفي بهما ..

هدايا الشبكة

بالرغم من الزحف الغربى علي مجتماتنا الشرقية ، مما طمس بعض العادات والآعراف القديمة .. إلا أن بعض المجتمعات ، والحضر ، والقصبات ، والقري ما زالت تُحافظ علي القيم التي نرجوا لها الا تنقطع ..

كانت آعرفنا الشرقية ، مع إختلاف الآعراف والمراسم والقيم إلي حد ما ، تحرص علي إحضار الهدايا من بيت الخطيب إلي بيت الخطيبة .. كانت تحتوي علي الأقمشة المتنوعة ، وبعض الملبوسات ، والإشاربات ، والعطور . أو ملابس منزلية . وتحرص بعض المجتمعات العربية ، والتركية علي أن تُقدم الهدايا أيضاً إلي أم الخطيبة وأخواتها .. بل قد تصل إلي آشياء تتعلق بالبيت ، أو الماكل والمشرب .. وعلي الرغم ان مثل هذه الآشياء بدات تندسر للظروف الإقتصادية .. إلا ان عودتها من الأمور المستحبة لعودة الترابط ، والتآخي ، والتعاضد الإجتماعي بين المجتمع الأسري .. وبالرغم من هذا .. فما زالت الهدايا الثمينة من الذهب تُقدم مع دبلتي الخطوبة فيمكن أن يقدم الخطيب من السلاسل أو الآساور ، أو الخواتم أو الاقراط الذهبية أو ربما بعض الخواتم المطعمة بالآحجار الكريمة كهدايا .. بل هي الآن من الآشياء التي يمكن الإتفاق عليها قبل حفل الخطوبة في بعض مجتمعاتنا .. فإنتقلت بذلك من التهادي إلي التقاضي .. كما تُراعي قيمنا الشرقية تقديم الهدايا في الأعياد الدينية .. بل وفي بعض المناسبات الدينية ، وغير الدينية في الوقت الراهن .. فعلي الخطيب أن يقدم الهدايا في العيدين ... بل يحفظ لنا التراث أن بعض المجتمعات الإسلامية كانت حريصة علي أن يقدم أهل الفتي "كبش ضحية عيد الأضحي" .. للفتاة .. وكانت تُخضب جبهته وبعض من فراءة بالحناء .. بل كان يزين ببعض الزينات المبهرجة ..

– إذا ما فُسخت الخطوبة يجب أن تُرد كل الهدايا العينية .

استعدادات الزواج

عقب إتمام الخطبة ، تبدأ إستعدادات الزواج .. هذه الإستعدادات يمكن أن تتسارع أو تتمهل وفقاً لمدة الخطوبة ، والفترة التي يتم الإتفاق عليها .. فإذا كان القران ، والنكاح ، والفرح قريباً .. وإذا كان العروسان بعد القران ، والزواج سيستقلان في عشهما مباشرة ، فإن أعمال التجهيز تتسارع .. ووفقاً لما تم الإتفاق عليه عند قراءة الفاتحة ، أو الخطوبة وتستكمل التجهيزات ، ويسعي الطرفان إلي تحقيق ما إلتزما به .. وتُراعي الأصول ، والآعراف التي كانت متبعة الا يتسبب أي طرف للطرف الآخر في أي مصاعب مادية قد تؤدي إلي مشاكل مستقبلية .. كان تراثنا .. "فاظفر بذات الدين تربت يداك "ويجب الا يغالي كل طرف في مطالب تاسيس عش الزوجية .. وفي فترات التعاون كان يراعي ما يلي :

– تُحتم القيم والآعراف أن تُعد غرفة النوم من قبل أهل العروسة ، أما غرفة الطعام ؛ من منضدة ، وكراسي ، وبوفيهات ، أو نيش ، وكذلك غرفة الجلوس "الصالون " بكل مشتملاتها من كنب ، وفوتيهات ، وسحابات = مناضد صغيرة فكلها علي العريس. ويمكن أن يحدث بعض التبادل ، بينما مجتمعات منطقة الجزيرة، والخليج والنوبة في مصر تري أن تاسيس بيت الزوجية بالكامل علي كاهل الزوج .. أما في مصر ، وتركيا ، وشمال أفريقيا فالأمر متروك للتفاهم ، ورغبة كل طرف في التعاون ، وحسب الإمكانات المادية لكل طرف .. المهم في الأمر .. أن الحرص علي عدم خلق ضائقة مالية للطرف الآخر ، هو الذي كان يحدد الاهم ، فالمهم. ولم يكن أي طرف يسعي إلى فرض شروطه علي الطرف الآخر ، أو يتشبث بضرورة أستكمال الأثاث ، وكل التجهيزات قبل الزواج .. فلابد وأن تكون هناك بعض النواقص للأزواج الجدد .. وليس هناك ما يُعيب ، أو يُخجل في هذا الأمر ، بل قيمنا .. « يَسروا ولا تعسروا ».

– إن بيت الزوجية الذي يصر طرفاة علي أن يكون كل شيء بالكمال والتمام ، معني ذلك أن الأبواب قد أوصدت أمام الأزواج الجدد ، وحالت بينهم وبين الاستمتاع بكثير من الأمور التي كانت تنتظر أن يقوما بها معاً ...

– إن التجهيزات المتسارعة ، والتي تتم علي عجل ، بصفة عامة يتم الإكتشاف فيما بعد .. يعني بعد أن تبدأ الحياة في هذا المنزل ؛ أنها لم تكن علي علي المستوي المطلوب .. وتكون النتائج في أغلبها سالبة .

الزواج ، في كل الأعراف ، والعادات ، والتقاليد يعني بناء بيت جديد .. وضع لبنة في بناء أُسرة جديدة .. الزواج معناه التوافق بين رجل ، وإمرأة ، والتفاهم فيما بينهم نحو الكيفية التي يقام عليها البناء .. الزواج معناه الرضا ، والتفاهم ، والقبول من إثنين لبناء عش جديد .. وفتح بيت جديد .. ومن هذا المنطلق ، فعلي الفتي ، والفتاة .. أو عائلتيهما أن يتعاونا علي تشييد هذا البناء ، وإقامة بنيانه .. وأن يعتبرا ذلك أمر مقدس .. وفرض واجب الأداء .

وخيراً تفعل الأسرتان ، لو أنهما أعدا قائمة بإحتياجات البيت الجديد . وأن تكون هدايا الآقارب ، والأصدقاء من كلا الطرفين محصورة في هذه القائمة ، وكل حسب إمكاناته بل من الممكن أن يتفق أكثر من قريب ، أو أكثر ، من صديق ويقدموا شيئاً واحداً من الآشياء ذات القيمة المادية العالية كالثلاجة .. أو الفرن .. أو التلفاز ومن تلك التي يصعب علي شخص واحد أن يهاديها .. وأن يكون ذلك بمثابة الدين الذي يجب رده عندما تحين نفس المناسبة ، أو مناسبة مشابهة لذلك الذي قدم الهدية ..

– لابد من الإشادة هنا بما تحفظه لنا العادات ، والأعراف في الريف المصري ، وحيث يقدم الآقارب ، والأصدقاء ، والمعارف ، بل وأهل القرية جميعاً ، والقري الاخري ما يُسمي بـ "النقوط" وهو مبلغ نقدي ، أو هدايا عينية تُعين علي إتمام الزواج يسجلها الفتي ، والفتاة ، أو عائلتيهما في سجل خاص بهم لسدادها في نفس المناسبة التي تحين للدافع ، أو المهدي «وتعاونوا علي البر والتقوى .. » .

* * *

فستان الزفاف

– بينما الإستعدادات علي قدم وساق للإنتهاء من جهاز العروس ، وحاجتها الشخصية .. ويعاونها في ذلك الأهل والأصدقاء .. تنشغل الفتاة أيضاً بفستان الزفاف .. جرت العادة أن ترتدى العروس فستان أبيض ، وطرحة من التُل الأبيض أيضاً ، وتاجاً ، وحذاءً أبيضاً .. وقفازاً أبيض ، وتمسك في يدها باقة من الزهور .. يلتزم العريس بمصروفات كل هذه الأشياء .

– تختار الحماة يوماً مناسباً ، وتدعو العروس ووالدتها ، وربما فرد أو إثنين من الأقارب . ويذهبون سوياً لإختيار فستان الزفاف ، سواء أكان قماشاً أو جاهزاً ..

– يخرجون سوياً إلي الأسواق ، يُختار القماش .. ثم تتجه الحماة "أم الزوج" ومعها العروس إلي ترزي العائلة .. وربما شخص آخر ..

– يتم التداول ، والتشاور في طراز الفستان ، ويرجح ما تختاره العروس حيث أنها هي التي سترتديه .. عند بداية قص الفستان ؛ كان من المعتاد أن يتواجد العريس والعروس وأصدقاؤهم من الجنسين .. وتقوم والدة العريس بنثر السكر ، أو القِطع النقدية ، وما شابه ذلك فوق القماش وتقديم الهدايا .. ويقتصر الامر في المدن آحياناً علي العروس ، والعريس .

– خلال تردد العروس لعمل الـ"بروفات" من الممكن ألا تحضر الأمهات .. ويكتفي بحضور العروس وبعض صحباتها أو قريباتها .. ومن الممكن أن يحضر العريس ، وأخوته ، وآخواته أو بعض آقاربه عند البروفة الأخيرة ، ليكونوا في صحبة العروس .

– وما أن تنتهي الأمور المتعلقة بفستان الزفاف ، حتي يتجه الجهد ، والتفكير حول تنظيم ، وترتيب البيت الجديد .. ولهذا الغرض .. تُحدد أم العروس يوماً .. وفي الموعد المحدد تدعو أصدقاء الفتاة المقربين ، وبعضٍ من الجيران والآقارب ..

– تعرض الأم الأشياء التي إدخرتها الفتاة لهذا اليوم ، مع الجهاز ، وما أستحدث من آشياء ، وقد أُعدت للنقل إلي البيت الجديد ..

البيت الجديد - عش الزوجية

– ينضم ، ويتعاون كلا الطرفان في ترتيب ، وتنظيم عش الزوجية .. وتتسم هذه العملية بالمرح ، والفرح والبهجة ، وخاصه للشباب المقبل علي الزواج من كلا الطرفين

–تحرص الكثير من العائلات التركية ، في المقام الأول أن يكون أول ما يدخل إلي العش الجديد نسخة من المصحف الشريف ، وتكون منقولة من بيت أبيها .. ويتلو ذلك مرآة ، وشمعة ، وكيس صغير من الأرز ، أو القمح .. ومثله من السكر .. ويرمز القرآن إلي عقيدة ، وإيمان المنزل ، المرآة إلي بهجته وإنشراحه ، والشمعة لدوام إستمرار النور والضياء في المنزل .. أما القمح والأرز فيرمز بهما إلي البركة والخير .. والسكر يحمل معني التمني أن يكون فم أهل البيت دائماً حلواً ..

– عملية تنظيم وترتيب المنزل من إختصاص الجنس الناعم بالكامل .. وتتسم هذه العملية بنوع ما من المظهرية .. فأهل العروس يودون أن يري أهل العريس ما أحضرته الفتاة في جهازها ، وأهل العريس يودون أن يظهروا ما أحضروة للبيت الجديد من عفش ، وأدوات وما شابه ذلك . فإن هذه العملية تتم بشييء من الأستمتاع ، والتروي ...

ليلة الحناء

– من أشهر مراسم الزواج ، وعاداته في المجتمع الإسلامي الشرقي هي ليلة الحناء .. وهي الليلة التي تسبق ليلة الزفاف ، والدخلة . يجتمع أصدقاء الفتاة ، وأقاربها في منزلها ويجتمع أصدقاء الفتي وأقاربه معه في منزله . في هذه الليلة تخضب يدي الفتاة ، وقدميها بالحناء ، وسط بهجة الأهل ، والأصدقاء ، ويتم ذلك بعد أن تكون قد إنتهت من حمامها .. وتكون هذه الحناء ، قد أُحضرت من بيت العريس .. ويُطلق علي طعام الوليمة التي تُقدم للضيوف في هذه اليلة "طعام الحنة "وتنقضي الليلة وسط الفرح ، والمرح ، و الغناء ، و الطرب .. وعلي نفس المنوال ، تجري الأمور في منزل العريس ؛ فبعد الحلاقة ، والحمام ، يجلس العريس في منزله ، أو منزل أحد الأقارب ؛ كالخال ، أو العم، أو العمة .. وسط لفيف من الأهل ، والأصدقاء في جو من المرح والبهجة ، والغناء والطرب ..

* تنفرد بعض المناطق العربية ؛ ببعض العادات الخاصة بها – كمجلس نتف العانة في اليمن ... وكذلك لبعض المناطق في جنوب تركيا عادتها الخاصة بها كمجلس العرقى .. ويتعمد الأب فيه أن يتعرف علي قدرة إحتمال ولدة .. وعند الجركس ، واللاظ لابد أن يتمكن العريس من خطف العروس ليلة الحناء .. حتي تتم ليلة الزفاف .. وفي هذه الليلة يسهل آقارب الفتاة أو ، أمها عملية الخطف، لكي يتم الزواج ..

* تشهد بعض مناطق تركيا – كنوع من التسلية – أن يتدثر بعض الشباب الذكور في زى الإناث ، ويُقدمون عرضاً ترفيهياً في منزل العريس ، وتتدثر بعض الفتيات في زي الذكور ويقدمن عرضاً فكاهياً وترفيهياً في منزل الفتاة .

* في بعض مناطق مصر تجلس الفتاة في الكوشة (*) لبعض الوقت حتي تتمكن من جمع "النقوط" الذي سبق وأن قدمته ، وتتلقي النقوط الجديد .. وتجلس علي مقربة منها إحدي صديقاتها أو واحدة من الآقارب لتسجل ما يدفع ، أولاً باول ..

* كذلك يفعل الفتي ، يجلس بين أصحابه فترة لتلقي ماله من نقوط قديم ، وما يستحدث .. ويُسجل ذلك أولاً باول ، وأحياناً – بالنسبة للعريس فقط – تمتد هذه العملية إلي ليلة الدخلة .. إذا كان الفرح ، والعرس في نفس القرية أو المكان ..

* وفي ليلة الحناء ، تختلف الأغاني ، والأهازيج التي تُقدم من منطقة إلى أخري ، ومن مجتمع إلي آخر .. ولكنها في الأعم الأغلب تدور حول صفات العروس ، وتمتدح جمالها ، وحسبها ، ونسبها .. وأخلاقها ، وتعدد ما ينتظرها من سعادة وهناء ..

– لما كانت ليلة الحناء ، هي الليلة الأخيرة للعروس في بيت أبيها وبين أحضان أمها ، وآخواتها ، وأخوتها .. فيمكن أن تتطرق بعض الأغاني لمثل هذه المشاعر .. وتسمع العروس ما يبكيها ، ويبكي أمها .. ولكنه بكاء ممزوج بالسعادة الدفينة .

* في بعض مناطق المجتمع الشرقي .. تُعد كمية من الحناء التي سبق وأن جُهِّزت في بيت العروس ، وتُرسل إلي بيت العريس فوق صينية ، ويتم بها تخضيب اليد اليمني للعريس ووكيله . كما يتم تخضيب آيادي ، وكعوب بعض فتيات أهل العريس من هذه الحناء.

– يُعتبر عقد القران ، أي النكاح أهم خطوة في عملية الزواج . وأكثرها جدية . . فبدون عقد القران ، وقبله ، لا يعتبر الرجل والمرأة في المجتمعات الشرقية قد تزوجا . وبه يتم تسجيل ، وإشهار الزواج . . وتختلف عملية عقد القران حتي في المجتمع الواحد من منطقة إلي آخري . . وتتعدد أماكن عقد القران من منطقة إلي آخري ؛ فمن دوائر الشهر العقاري ، ودوائر الزواج في البلديات ، إلي دور الإفتاء ، وكبري الجوامع ، إلي المنازل وصالونات الزواج . . حيث يتفق العريس والعروس ، أو ولي أمرهما علي الكيفية التي يتم بها عقد القران ، ومكانه . . ففي المجتمعات التي يُعقد فيها القران في دوائر البلدية ، يتولي رئيس البلدية أو نائبة ، أو وكيله عقد القران ، أو يكلف موظفاً مختصاً بهذا الأمر .

– أي كان المكان أو الشكل ؛ المهم أن يكون العريس والعروس في ملابس العرس ، وقد أعدَّت مكياجها ، وشعرها بالشكل اللائق وفي تركيا مثلا قبل ان تخرج الفتاة من منزل والدها ، وهي علي أهبة الأستعداد للخروج يمنطقها والدها بحزام العفة .

* يُطلق علي حزام العفة في بعض مناطق تركيا "حزام الأم فاطمة" وكانت تُعقد له مراسم خاصة به في الفترات التاريخية السابقة ، كانت الفتاة تتمنطق به قبل خروجها من منزل أبيها ، أو قبل أمتطاء صهوة جوادها . . وهي عباره عن : أن والد الفتاة ، وإن كان الوالد متوفيا يقوم واحد من كبار العائلة ؛ العم ؛ أو الخال ، أو الأخ الأكبر بتحزيم الفتاة بحزام من الذهب ، أو الفضة ، أو المعادن المشغولة ، أو القماش المطرز ، وخلال هذه العملية يقوم بإسداء النصح لها ، وتوصيتها بمجموعة من الوصايا، والنصائح .

– ومما يتضح من بعض هذا التطبيقات أن الوالد يوصي أبنته قائلاً :

– كان شرفك ، وعفتك أمانه لدي حتي اليوم ، ومن الآن وصاعداً فشرفك وعفتك، وأنت أمانة لدي زوجك . . ومن الآن حافظي علي شرفك ، وأمسكي لسانك وأقبضي يديك أينما تكونين . فالمفهوم ، والقيمة التي يحملها إلينا التراث؛ أن حزام العفة ما هو إلا وسيلة . أو مناسبة لكي يوصي الأب ، أو الولي الفتاة ،

يحضها علي الشرف والعفة ؛ عفة الفرج واللسان .. ويدعوها للجد ، والإجتهاد ، والسعي لتدعيم زوجها ، والحفاظ علي عرضه ، وماله في حضوره ، وغيابه ..

التراث الشرقي القديم يعرف حزام العفة ، حيث كان الزوج ، أو الأب ، أو الأخ ، أو العم ، أو الخال قبل الخروج للحرب أو التجارة ، يشتري حزام العفة ويمنطق به خصر الزوجة ، أو الإبنة ، أو الأخت التي يُخاف عليها ..

* تناقلتة الأجيال ، فهو يمثل أو يرمز االي البكارة والعفة ، وتحرص بعض المجتمعات الشرقية المسلمة علي تمثله حتي اليوم ، وأصبح الآن عبارة عن حزام من الذهب الخالص في منطقة الخليج ،وبين القبائل العربية ، تُصر الفتاة ، ويحرص العريس علي شراءة ضمن الذهب الذي يقدم لزوجة المستقبل .. وفي مناطق أخري يكتفي بالرمز إلية بحزام من الستان ، أو الرباط الأحمر يعلق علي خصر الفتاة رمزاً لهذا المعني

– ما زالت معظم مناطق المشرق الإسلامي حريصة علي هذا الرمز . إذا الفرح سيعقد عند عقد القران ومعه . ويحرص الأب عليه أكثر من سواة ..

– تعود كل المصاريف المتعلقة بعقد القران وتوابعه علي العريس .. وأحياناً في بعض المجتمعات تتم المشاركة من الطرفين يتحدد الموعد .. تطبع كروت الدعوة .. يتم الإتفاق علي الضيوف والمدعووين .. وشكل حلويات العرس .. كما حدث في الخطوبة ، والأمر هنا رهن بالإتفاق أيضاً ..

– تختلف ملابس العرس من مكان إلي مكان ، وحسب الظروف فإذا ما كانت العروس مرتدية الفستان الأبيض ، والتاج والطرحة التُلي ، فعلي العريس أن يراعي أن تكون بدلته من الألوان الغامقه ، أو الداكنة اللون ..

– إن ملابس العروس ، والخاصة بالزفاف كلها ؛ من الفستان حتي الحذاء ، والشنطة، والورود ، والمكياج والكوافير تُغطي من قبل العريس وأهله ..

– ليست هناك حتمية على إرتداء فستان الفرح عند عقد القران ، إن لم يكن في نفس توقيت العرس ، بل الأمر متروك للفتاة لكي ترتدي ما يناسبها ، وما يعجبها هي.. ولكن جرت العادة إن كان عقد القران في نفس يوم الزفاف أن يكون العروسان في كامل زينتيهما .. وأن يحضرا عقد القران وهما في زي العرس .

حفل عقد القران

– إذا كان عقد القران في دائرة الزواج ، أو الشهر العقاري يتم من قبل الموظف الرسمي المختص ، هو في كامل قيافته الرسمية يأخذ العريس والعروس مكانيهما .. يُختار لكل منهما شاهد ، ويجلس الجميع علي المنضدة المعدة لذلك الغرض .. يسأل الموظف المختص بعض الأسئلة ، ويدون الأجوبة ، والبيانات الخاصة بهم جميعاً في الأوراق التي أمامه .. ويوقع الجميع علي وثائق الزواج .. ثم يتلو الموظف بعض الآيات والأحاديث ، والأقوال المأثورة التي تحض علي الزواج ، والتناسل . ثم ينهض الجميع بمن فيهم الموظف المختص وقوفاً .. ويُعلن تمام عقد النكاح ، وانهما اصبحا أمام الشهود والحضور زوجاً وزوجة علي كتاب الله وسنة رسوله والمذهب المتبع في المنطقة . وبذلك يكون قد تم الإشهار ، وهو الركن الأساسى في الزواج .. يتبادل الاطراف التهاني والتبريكات .. في هذه الآونه يكون الآباء ، والأمهات قد أخذوا أماكنهم عند باب الخروج ، فيتلقون التهاني ، والدعوات الخيِّرة ، من الضيوف .. "مبارك .." "ليسعدهم الله .." "بالرفاه والبنين " . وما شابه ذلك من التمنيات الطيبة .

* يُقدم أهل العروسين لهما الهدايا الخفيفة الحمل ، والغالية الثمن ؛ كالحلي الذهبية أو الفضية ، أو الساعات ، والخواتم وما شابه ذلك بهذه المناسبة .. وتُقوم السيدات من الطرفين بتقليد العروس بهذه الهدايا الثمينة ..(ظهرت مثل هذه العادات في الأزمنه الأخيرة في بعض المجتمعات ، وليس في كل المجتمعات الإسلامية ..) بل وصل الأمر في بعض المناطق أن تُعلق الأوراق النقدية ، أو تُنثر عليها القطع الذهبية ، والفضية بهذه المناسبة ، ووسط هذا الحشد الكبير .

– يمكن أن يتم عقد القران في الجامع ، أو في المنزل ، أو في صالون الأفراح .. مهما أختلف المكان فالمراسم ، والأعراف والقيم متقاربة .. ولا توجد سوي فروق طفيفة .

– مهما كان الشكل أو المكان ، فهناك بعض القيم والخصائص التي لا يمكن إغفالها أو نسيانها عند عقد القران ..

– ان يكون المكان لائقاً بالمناسبة ، من ناحية النظافة ، والنظام ، والتنظيم ، وان يُعقد في جو من الفرح ، والسرور ، والإبتهاج ، والبسمة وأن يلتزم الجميع الهدوء، والسكينة في لحظات التلاوة ، والعقد ، والتوقيع .. وأن يستحضر الجميع قدسية اللحظة .

– حاولت كل المجتمعات الإسلامية ، والشرقية بصفة عامه وحتي تلك التي يسود فيها نظام الحكم العَلْمَانى ، أن تُكسب عقد القران الصفة ، والمسحة الدينية .. ولذلك حرصت كل الأسر علي أن تعقد النكاح الشرعي ، عقب ، أو قبل النكاح الرسمي .. ويتم ذلك في منزل والد الفتاة ، وبحضور الشهود ، وأقرب الآقارب .. وهنا يعقد القران الشرعي رجلاً من رجال ، أو علماء الدين كالماذون ، أو إمام الجامع ، أو عالم من علماء الدين المشهود لهم بالتقوي ، والصلاح .

يتم الحفل الديني بتلاوة بعض من آيات القرآن الكريم ، ثم يقوم الماذون ، أو العالم بالتعقيب ببعض الآحاديث النبوية التي تدعوا إلي الزواج ، وتحض عليه وإلي كثرة التناسل .. ثم يسأل بعض الأسئلة ، ويتلقي الأجوبة ، ويتحدد المهر ، ومؤخر الصداق سواء أكان نقداً أو مُلْكاً ، أو ذهباً ، أو عقاراً .. وبعد ان يتلقي الردود الإيجابية ، ويعلن المذهب الذي عُقد القران علي أساسه شرعاً ، ثم يعلن إعلان الزواج .. ويدعوا الجميع للعروسين بالسعادة ، وبالرفاء والبنين ..

*أستجدت في بعض المجتمعات الإسلامية ، بعض السلوكيات المدسوسة ، والتي تهدف إلي إفساد الجو الروحي الذي يجب أن يسود لحظة عقد القران ، فالهدف واضح حتي وأن اكتست هذه السلوكيات بكسوة المرح ، والفرح والإبتهاج ..؛

كان يمزح البعض مع الموظف المختص ، أو الماذون بشكل ممجوج ليُضحك الجميع ، ويفسد الجو القدسي الذي يحيط بعقد القران .

أو أن ينبري أحد الموجودين ، أو إحداهن بأن تطلب من العروس أو من العريس أن يدوس بقدمه اليمني علي قدم الطرف الآخر .. ويكون ذلك في لحظه التوقيع علي قسائم الزواج .. وأن يُطلق البعض أصوات الاستحسان بينما يُطلق آخرون أصوات تدل علي التحسر .. أو الندم علي فقدان الحرية والدخول في سجن الزوجية ..

أو أن يتخاطف الحضور عبوات الملَبّس ، والسكريات وسط تهريج الصبية .. أو أن يتسارع البعض إلي خطف المنديل الذي يُغطي به الماذون يدي العريس ووالد الفتاة .. أو تحاول بعض الفتيات "قرص" العروس .. أو خطف الزهور لكي تلحق بها في عرسها ..

مثل هذه التصرفات يجب البعد عنها .. وأن تكتسب ، أو أن تحتفظ هذه المناسبة بقدسيتها وروحانيتها التي تُمثلها .. وأن تظل قيمة الزواج قيمة مقدسة .. وأن تعمل الجهات المسئولة علي عودة القيم الجميلة إلي هذه المناسبة السعيدة ..

* حبذا لو اكترث معظم المجتمعات الإسلامية من صالونات ، وقصور الزواج ، وأن تجعلها بالشكل اللائق ، والمناسب كما هو موجود في دول الخليج والجزيرة العربية .. بحيث يكون للزواج رغبتة ، وسهولته .. وأن تسعي كل المجتمعات – وخاصة الخليج والجزيرة، والطبقات الجديدة من الحد من المغالات في طلب المهور .. ووضع الشروط التي تعجز معها ، وأمامها ظروف الشباب المقبل علي الزواج ..

* حبذا لو أكثرنا من مساعدات الشباب ، ومن تاسيس الجمعيات الخيرية التي تقدم هذه المساعدات جنباً إلي جنب مع الحكومات وان تعمم تجربة الزفاف الجماعي الذي ظهرت بوادرها في منطقة الخليج ومصر المحروسة .

* * *

الفـــرح

تُقام الأفراح في الوقت الراهن في عواصم ، وحواضر المجتمعات الإسلامية الشرقية في قصور الأفراح ، والقاعات المعدة لهذا الغرض خصيصاً ، ونادراً ما تكون في قاعات الفنادق . كما أنها تُقام في دور ، ونوادي القوات المسلحة ، والنوادي الإجتماعية ، ودور الضيافة للهيئات ، والنقابات ، والجمعيات المختلفة . وإذا كان المناخ مناسباً ؛ فَتُقام في حدائق الفنادق ، وحول حمامات السباحة المتاحة في العواصم .. إما في المدن الصغيرة والقصبات والقري ، فغالباً في دور المناسبات ، او السرادقات التي تُجهز لهذه المناسبة فقط . وفي الغالب الأعم في القُرى تُقام في المنازل أو في الساحات المتاحة بها ... مهما كان المكان ، ومهما كانت المستويات ، فإن الغرض واحد ، والهدف ، هو نفس الهدف ؛ هو الإحتفال بالزفاف لكي يتم الإشهاد ، والإشهار للزواج ..

– بصفة عامة ترتدي الفتاة ، وتتزين في بيت أبيها ، وتستعد ، وتتجهز فيه قبل أن تخرج منه .

– إذا كانت ستستعد ، وتلبس في بيت أبيها ، فبعد أن تستعد ، يحضر العريس ، أو بعض من أقاربه لإصطحاب العروس إلي صالون الأفراح .. وتُقام مراسم تمنطق حزام العفة السابق المشار إليه هنا ، قبل الخروج من المنزل ...

– تجري مباهج الفرح وفقا للإمكانات المادية المتاحة لكلا الطرفين ، وحسب الإتفاق المبرم مسبقاً فيما بينهما .. أو ربما يتوافقا مع البرنامج الذي يُقدمه صالون ، أو قصر ، أو دار الأفراح ..

– في اللحظات الأولى لبدأ برنامج الحفل ، يقوم أقارب ، وضيوف الطرفين بتقديم الهدايا الذهبية ، أو النفيسة التي لم يتمكنوا من تقديمها عقب عقد القران ، ثم ينطلق البروجرام حسب البرنامج المحدد .

– في العواصم ، بل وصلت إلي القري ، تسجيل الحفل علي شرائط الفيديو . وبرامج الموسيقي الغربية ، جنباً إلي جنب مع الآلات ، والألعاب ، والاغاني الشعبية .

وطغت في المدن بعض من العادات الغربية ؛ كمراقصه العريس لعروسه ، وكثيراً ما ينضم الشباب من الحضور إلي هذه الرقصات ويتخلل الحفل بعض من الرقص الشرقي، وفواصل من الغناء ، والطرب واللهو ، وقد وصل الأمر في بعض المجتمعات أن أخلّت هذه المستجدات بقدسية قيم الزواج . وليتنا نعود إلي التمسك بالمراسم والقيم العريقة، ونعود إلي آصالة المناسبة ونرفض كل مامن شأنه أفساد هذه الآصالة تحت دعوي الحداثة والتطور ... ألم تحافظ الكنيسة علي قدسية النكاح والزواج علي الرغم من عالم التكنولوجيا ، والعصرية ، والحداثة التي تعم المجتمعات الغربية...

– إن الأمر أصبح كما لو لم يتبق من قدسيته وروحانيته أي شييء ، وأنقلب الامر إلي نوع من التهريج والترفيه ، بل والتفاهة التي لا تتناسب مع المناسبة ، وما يترتب عليها من قيم أسُرية .. ولم يعد يخلف لنا سوي الإرهاق المادي ، والجسدي والمعنوي.

– المجتمعات الزراعية تعرف نوعاً من التعاون أو التكافل الإجتماعي ، في الزواج .. وهو ما يسمي بالنقوط ؛ أي يقدم الأهل ، والآقارب ، والمعارف ، والأصدقاء والجيران مبلغاً للعريس ، ويقدمه الشباب الذكور علي أن يرد في مثل هذه المناسبة ، وتقدم الشابات للعروس في ليلة الحنة ، وترد هذه المبالغ من قبل المستفيد بها ، سواء العائلة الكبيرة ، أو الأسرة الصغيرة ..

–كما سبقت الإشارة ، فقد سبق ذلك عقد القران سواء المدني أو الشرعي .. كانت العادات ، والأصول القديمة تقضي بأن يكون للعريس ناصح في أمور ليلة الدخلة.. وكذا للفتاة ، كعمتها ، أو خالتها . كان الطرفان يحرصان علي تقديم النصح المناسب قبل "ليلة الدخلة "أو "ليلة الزفاف "حيث تزف العروس إلي عريسها ، أو يدخل العريس بعروسه . كما يطلق علي الغرفة التي سيقضي فيها العروسان هذه الليلة إسم"غرفة الدخلة " أو "أوضة الزفاف " . تدخل العروس أولاً إلي هذه الغرفة ، ثم يعقبها العريس ..

– في المراكز ، والقصبات ، والحضر ، والقري تسير الزفة بالعريس حتي باب غرفة الدخلة ، ثم تدخله وسط نوع من المرح ، والفرح ، والبهجة . كانت ، ومازالت في كثير من المجتمعات ، تقتضي الآصالة أن يصلي العريس ركعتي الشكر لله سبحانه

وتعالي ، ويتوجه إلي الله بالدعاء أن يُبارك له في زوجته .. ثم يتقدم من العروس ، ويرفع طرحة العرس .

* بعض المجتمعات ، كان الأمر يقتضي أن يقدم العريس إلي عروسه هدية من الذهب ، أو الأحجار الكريمة ، ككردان ، أو عقد أو سلسه ، المهم شيء يعلق في الرقبة حتي يرى الوجه ومن هنا تعرف هذه الهدية في التراث الشعبي بـ "هدية رؤية الوجه " .

* تحرص أم الفتاة علي إعداد "حلة الإتفاق "للعروسين في ليلة الدخلة وهى فى الغالب من الأطعمة التى تحبها الفتاة ، والفتى وغالبًا ما تكون من الطيور كالديك الرومى ، أو البط والحمام وأحيانًا ما تقوم خالة الفتاة أن تحل محل الأم فى إعداد حلة الأتفاق هذه .. وفى جنوب الجزيرة العربية شيء مشابه ، بحيث يقدم العريس هدايا للعروس ، وأمها ، وآخواتها ، وأخوتها ، وتتغير قيمة هذه الهدايا وفقاً لحالة العريس ، ومكان العروس وأهلها .. وكانت تُقدم قبل ليلة الدخلة ، تحت مسمي هدايا "فك الدكة " .

* تحرص المجتمعات الشرقية المسلمة ، حرصاً كاملاً على بكارة الفتاة قبل الزواج .. والتأكد بصفة قاطعة على عدم ممارستها لأي علاقات جنسية قبل الزواج .. فالبكارة أمر مهم في القيم الشرقية .. فالبكارة مرادف للعفة ، والطهارة وكلها أمور ، وقيم لايمكن التفريط فيها ..

* * *

شهر العسل

إن شهر العسل يرتكز في المقام الأول علي الوضع الإقتصادي ، فبعد أن يتمم الطرفان مستلزمات البيت الجديد ، ومصاريف الفرح ، والزفاف ، وما شابهه ذلك ، فإن كانت الظروف تسمح ، فيمكن أن يخصص مبلغاً من المال لقضاء شهر العسل .. أو لقضاء فترة ما ، خارج نطاق بيت الزوجية تحت هذا المسمي .. ولكن يجب ألا ننسي ، أن شرط السعادة الزوجية الجديدة ، لايعتمد اعتماداً كبيراً علي الادوات الكهربائية ، أو الكماليات ، أو الحفل الكبير ، بل يمثل شهر العسل . لو توفرت له الظروف – ركناً ركيناً في هذه الظروف ، خاصة فيما بين الأجيال الجديدة

– لو تم فعلي الرحب والسعة ، ولكن قيمنا ، وآصالتنا لا تقبل قضاء شهر العسل بالإستدانة – . فالقطاع الأعظم من مجتمعاتنا لم تعتاده ، ولم يتحول بعد إلي قيمة ثابتة ، بل هو من مستحدثات الإحتكاك . بالمجتمعات والثقافات الوافدة .. بل كانت العادة أن يظل العروسان في منزلهما لا يبرحانه لمدة أسبوع ، ولايسمح لأحد بزيارتهما إلا بعد أسبوع ، وتُقدم بهذه المناسبة هدايا السبوع ، وتكون في معظمها تتعلق بمستلزمات المعيشة اليومية للبيت الجديد ..

– ترصد لنا المصادر ، أن بعض المجتمعات كانت تحرص علي "الصباحية" ، أي أن أهل العريس ، والعروس يحرصون علي زيارتهما في صباح اليوم التالي لليلة الدخلة .. كل طرف يحرص علي الإطمئنان علي الجانب الذي يخصه ؛ علي بكارة الفتاة ورؤية آثار دماء العذرية .. وعلي أن الفتي قد أثبت رجولته .

الأسرة الجديدة ، وزيارات الشكر

– بعد أن تنقضي أجازة الزواج ، ومدة شهر العسل ، وبعدأن يكون العروسان قد أستقرا فى عشهما ، وأعتادا حياتهما الجديدة .. تبقي عليهما بعض المسئوليات الإجتماعية كزيارة كبار العائلتين لتقبيل أياديهم ، والتبرك بالدعاء ، ثم تتوالي زيارات المجاملة ، ورد الزيارات ، وتقديم الشكر علي الجهد والمساهمة في إتمام العرس ، وبناء العش الجديد ..

– علي الزوجين الحديثين أن يقوما بالزيارات الواجبة إلي الأهل ، والآقارب الذين قدموا يد المساعدة ، أو دعموا هذه الزيجة ، وكذلك للأصدقاء الذين آزروهما ، أو عاونوهما مادياً ، ومعنوياً ، وعليهما أن يسطروا خطابات الشكر للذين هم بعيدين عن المدينة التي يعيشون فيها .. وحالياً .. ومع ثورة الإتصالات يتم الإتصالات الهاتفية.

– أحياناً يُبادر بعض الآقارب بدعوة العروسين علي العشاء ، أو الغذاء .. وينتظر الآقارب الآخرون إلي أن تحين لهم الفرصة .

– لقد أصبح للعروسين ، أُمين ، ووالدين .. وعليهما أن يرضيا الطرفين ، دون أن يكسرا خاطر ، أو يغضبا أي منهم .. لذلك يحرص كل منهما علي ألا يُغضب الطرف الآخر ، وترتيب الزيارات بشكل متوازن .

– تحرص قيمنا الأُسرية الأصلية علي توطيد العلاقات الأُسرية مع الأُسرتين ، فمثلا يكون الإفطار الأول في رمضان عند أهل العروس ، بينما الأعياد تكون في منزل أهل العريس .. ويحرص العريس علي تقديم الهدايا لأم العروس ، وتحرص هي بدورها علي تقديم الهدايا لأم العريس في المناسبات التي تتطلب ذلك .. وعلي الزوجة أن تكون في المناسبات الدينية حيث يكون زوجها .. كما يحرص أهل العروس علي زيارة . بيت إبنتهم في المناسبات الدينية كالمواسم ، والأعياد ، والمولد النبوي الخ ..

– لم يغب عن عاداتنا ، وآعرافنا ، وقيمنا أن الزوجين الجديدين لن تكون حياتهما دائماً ناعمة ، هانئة .. وطُرقهما مفروشه بالورود بل هناك منغصات ، ومناوشات ، ومناقشات ، ومنازعات ، وتدخلات من الحموات .. وحتي تتوائم الطباع، ويتناغم الإيقاع ، وتتولد العشرة .. تدعو قيمنا ؛ الطرفين إلي الصبر ، ومحاولة التفاهم ، والتفهم لظروف ، وثقافات ، وعادات ، وطباع الطرف الآخر .. وأن ينظر كل طرف إلي آقارب الطرف الثاني بالمعقولية ، وأن يضع في إعتباره أن الطرف الثاني يعرف أهله وعاشرهم قبل أن يعرفها ويعاشرها بمدة تتراوح ما بين ٢٠–٢٥ سنة ومن حقهم عليه أن يحسن عشرتهم .. وأن يرعي كل طرف ، وخاصة الزوج الله في والديه .. ويجب أن تعينه الزوجة علي ذلك ..

– ما تُصر عليه قيمنا ؛ ان تلزم الزوجة بيت زوجها .. ولا تبرحة بدون إذنه ، وان تحفظه في عرضه ، وماله ، وعياله .. إن غاب عنها وتوصي الطرفين بالا ينقلا خلافاتهما .. أو أسرارهما إلي خارج نطاق جدران بيتهما .. وسقف دارهما ..

الميلاد-الولادة

إن الميلاد هو بداية الحياة ، والطفل الذي يولد هو الذي يؤمن أستمرار النسل .. ولهذا السبب تحرص كل عائلة ان يكون لها طفل يؤمن هذا الإستمرار .. وان التطور الطبي قد أمّن أكثر من طفل لكل اسرة .. ورغم هذا التطور ، فقد عجز الطب ايضاً أن يُحقق هذا الامل لبعض الأسر .. وتراثنا الإسلامي .. ولغتنا الجميلة ، عندما أحتوت علي مصطلح التبني ، ومرادفه في اللغات الإسلامية الاخري .. مما لا شك فيه كانت تهدف تعويض هذا النقص ، وتلبية هذا التمني .. من ناحية اخري ، فإن كل المجتمعات ، علي إختلاف قيمها ، وإمكاناتها حرصت علي أن توفر الدعم الصحي ، والطبي لأفراد المجتمع ، لتامين هذا التكاثر ، وإشباع هذه الرغبة ، وتحقيق هذا الأمل .. كانت القيم الأسرية في الماضي ، تقوم علي أعتقاد ان الولد الذكر هو وحده الذي يؤمن إستمرار نسل ، وعصب الأسرة ، ولكن مع تطور التعليم ، وإرتفاع المستوي الثقافي بدأنا نري تواري هذا الفكر رويداً رويداً .. والتراث الإسلامي قضي تماماً علي واد البنات ، وساوي بين الولد والبنت في التربية ، والعطف ، والرعاية ، والعناية .. ولم يفرق إلا في مسئلة القوامة ، والميراث وأرجع ذلك إلي أسانيد شرعية ، وعقلية مقنعة .. وحتي في القانون المدني المطبق في تركيا ساوي بين الولد والبنت في إختيار لقب العائلة الذي يجب أن يستخدمه .. مهما كانت المعتقدات ، والقيم ، والعادات التي تسود في المجتمع .. فمما لاشك فيه ، وما تتساوي فيه كل المجتمعات علي إختلاف مستوياتها التعليمية ، والثقافية والمادية ، هو الفرحة الجارفة التي تشمل الاسرة مع ميلاد الطفل ، سواء أكان ذكراً أم أنثي .. فميلاد الطفل يخلق بسمة علي الشفاة ، وبهجة علي الوجوة ، وراحة في النفوس ...

– وقبل الولادة تمر الزوجة بما يلي :

* * *

الحمـــــل

إن بشـائر الحـمل ، التي تتـمـثل في دوار الرأس = "الدوخـة " والقيء ، والوَحَمْ ، وزيادة إدرار البول ، وإنقطاع الحيض .. "الدورة الشهرية" لدي المرأة لما يخلق نوعاً من السعادة لدي الأسرة عامة ، والأم بصفة خاصة .. وما أن تظهر هذه البشائر حتي يهرع الزوجان لإجراء التحاليل ، والكشوفات الطبية التي تؤكد هذه البشارة ، وأخذ نتائج قاطعة في هذا الصدد . ما أن يتأكد هذا النبأ السعيد ، حتي يسارع الزوجان بإبلاغه إلي الكبار ، إلي العائلتين .. هذا الإعلام يمكن أن يتم إما بالزيارة ، أو بالهاتف، أو بالرسائل .. إن أخبار أول حمل له أهمية قصوي لدي جميع الأطراف .. ففيه إسعاد للكل ، الزوج والزوجة ، الأمهات والآباء .. لقد ثبت لكل طرف جدارته بموقعه في الأسرة ، أبوة الزوج ، أمومة الزوجة .. وأن يكون للأطراف الأخري حفيد .. "أعز الولد ولد الولد .." وما أن ينتشر الخبر ، حتي يبادر الأقارب بتقديم التهاني للزوجين ، وإلي الجدات والأجداد .. وتحرص الأمهات = "الحموات "علي تقديم الهدايا مقرونة بالتهاني . هدايا للأم الصغيرة ؛ تنحصر بين الهدايا الذهبية ، أو فساتين الحمل، أو أطقم للطفل المنتظر .. وفي المجتمعات الفلاحية ، تُشعر الزوجة الحديثة بحملها عن طريق وضع غطاء رأس مشغول ، مزركش ، أو مشغول بالترتر .. = الإيشارب أو المنديل أبو أويه ، فهذا معناه أن مَنْ ترتديه حامل .

لا تكلف الحامل بأي أعمال ثقيلة .. ولا يسمح بالتعب ، أو الإرهاق ، أو حمل أثقال .. تبدأ مرحلة الإهتمام بالتغذية ، وتلبية كل مطالبها التي تتعلق بالمأكل والمشرب .. والإ ظهرت علي جسدها "الوَحمَة" وتختلف المسميات باختلاف المناطق، ولكنها تتفق حول "أن المرأة الحامل تلبي طالباتها المتعلقة بالطعام والشراب " . تُنهي عن التدخين ، والكحوليات ، والمخدرات ، والمسكرات ، والمسكنات التي تدخل المواد المخدرة في تكوينها .. يُبذل أقصي جهد لعدم إغضابها ، وبكاءها ، وعصبيتها.. يُراعي عدم تعرضها للبرد ، ونزلاته .. تُبذل المساعي لتجنب تناول الأدوية ، والتعرض للأشعات ، والإشعاع ، والتلوث .. تُنصح ، بل تُمنع من قص شعرها ، في الحضر ، والمدن يُراعي ترددها علي الطبيب من حين لآخر لمتابعة الحالة

الصحية .. وبعد أن ثبت زيادة نسبة التشوة ، والإعاقة بين الأزواج الآقارب .. وتحت وطئة هذا الخوف زاد الحرص علي المتابعة الطبية الدورية ، كما زاد الحرص علي الكشوفات الطبية قبل الزواج نفسه في الأزمنة الأخيرة

إن الكبار في العائلة هم الآحرص علي مساعدة ، ومعاونة الحوامل ، فلا يتهاونون مع عدم المتابعة الطبية ، أو التخفف أو التخفيف من الأعباء المنزلية .. توصي الحامل بكثرة الخروج للتريض ، والتنزة وتُتاح لها الظروف لكثرة الإستحمام ، والإغتسال ، ومراعاة النظافة عما سبق .. كما لا يتأخر "بابا المستقبل " عن تقديم كافة الدعم ، والمساندة ، والمساعدة لمن سوف تمنحه الفرصة لكي يكون أباً .

تتغير الملابس ، وتتسع مع تقدم الحمل ، وحجم البطن ، بل والجسم بصفة عامة .. يُراعى فيها الإتساع والراحة .. ولقد أصبحت هناك أقسام خاصة بالحوامل في محلات الملابس الجاهزة .. كما أنها تتحاشي لبس الأحذية ذات الكعب المرتفع ..

مع ظهور الحمل ، يزداد الشغف بنوع الطفل المنتظر ... دقات القلب .. حركة الجنين .. الخ كلها بوادر التعرف علي ولي العهد المنتظر .. تراثنا يسجل الكثير عن طرق تخمين نوع الطفل المنتظر .. وإن تمكنت الموجات فوق الصوتية في الطب الحديث تحديد نوع الطفل فيما بين ٢٠-٢٤ اسبوعاً من بداية الحمل ... يحمل لنا التراث الماضى شغفاً لمعرفة نوع الطفل ، والتمني أن يكون ذكراً .. ومازال هذا الحلم يراود الأزواج في بعض المجتمعات الأقل تحضراً ، وتعلماً ، وثقافة .. وإذا ظهر هذا الميل في المجتمعات المتحضرة ، والمنافية لروح ديننا الحنيف في بعض الآحيان .. فالدافع إلي ذلك هو الإستعداد الواجب توفرة للقادم الجديد .. فالزوجان يودان المعرفة .. للإستعداد بالملابس .. والعقيقة ..

إن العائلات تكثف الإستعداد عقب معرفة النوع ؛ مكان النوم ، نوع اللبس .. المهد .. المرتبة . المخدة ، اللحاف .. المفارش والملاءات . الأغطية .. تُشتري .. أم تُعد في البيت ؟ فبعض الأمهات تحب أن تشتغل بيديها بعض الأطقم .. والجدة .. تود أن تفرح بشغل الإبرة .. جميع الأسواق في مجتمعاتنا الشرقية تعرف الكثير من لوازم الطفل .. بل هناك محلات مخصصة لهذه اللوازم فقط .. في بعض المناطق في تركيا قماش يسمونه "قيرق بارچه" "أربعون قطعة "لصنع لحاف الطفل فقط .. هذا .

ناهيك عن الجوارب والأربطة ، والأحذية ، والأغطية .. والكافولات .. والبابرونات ، والبازّازات والمناشف ، وطست الإستحمام .. والصابون ، .. والبودرة .. وماشابه ذلك .. وما تغير مسمياتها ، وتتحد آهدافها وكلها تدور حول الإستعداد للضيف القادم ، وبذل أقصي الجهد لراحته ، وإسعادة ، وأستنشاق أقصي ما يتاح من نسَيم السعادة التي يبثها مع كل صرخة ، أو بسمة ، أو خطوة .. إن كبار العائلة يساعدون، ويعاونون في هذه الإستعدادات والتجهيزات بما يقدمونه من هدايا عينية ، أو مادية تحت مسميات عدة .. ومما تتفق عليه المجتمعات الشرقية الإسلامية – دون سابق إتفاق – أن اللون الأبيض، والأزرق يفضل في ملبوسات الطفل الذكر ، أما البنت فتفضل لها الألوان الحمراء بدرجاتها المختلفة ..

* * *

الـــــولادة

علي السيدة التي ترغب في الولادة في المستشفي ، أو في مراكز التوليد ، وأقسام الولادة أن تضع مستلزمات الطفل مع حاجياتها في شنطة مناسبة منذ أن تشعر بقرب الوضع ، وعلامات الولادة .. فإن وضع المولود في المستشفيات ، أو مراكز التوليد ؛ هي بكل المقاييس أصح ، وأضمن لصحة الأم ، والإبن معاً .. والتطور يستدعي مراعاة ذلك .

المدة الطبيعية للحمل الطبيعي تسعة أشهر ، وعشرة أيام تقوم الداية = "المولدة" بإجراء عملية التوليد في البيوت ، والمنازل ، أما في المستشفيات ، والمؤسسات الطبيه فيقوم الأطباء بهذه المهمة .. بعد مولد الطفل مباشرة لابد من قطع الحبل السُرِّي ، ويُربط ولو كان هناك إتفاق علي الإسم الذي سيتسمى به المولود ، فيوضع هذا الإسم علي الحبل السُرِّي . ينظف المولود ، ويُغسل ويُلف جيداً .. أما الأُم فيتم تنظيفها جيداً هي الأخري ، وتَلبس ملابس نظيفة ، وتُرقد في الفراش . تُرسل البشارة إلي الوالد القلق ... إن أقصي ما يتمناة أي أب في مثل هذه اللحظات أن يتلقي أخباراً تُطمئنه علي صحة الأم ، والطفل .. وإذا ما أخبره حامل البشارة ، وطمئنه عليهما ، فعليه أن يتمني ، ولا يملك الاب إلا أن يكافئه بما هو متاح ؛ نقوداً ، ملابس .. هدية عينية .. ثم يسرع بإبلاغ كل مَنْ يهمهم الأمر ، بالولادة ، تليفونيا ، برقياً ، كتابياً .. والبعض يعلن ذلك في الجرائد ، والصحف .. حتي يُعلم الأهل ، والأقارب ، والأصدقاء ، والمحبين .. وما أن يتلقي الجميع هذه الأخبار حتي يشاركوا الأبوين الفرحة ، ويحمدون الله علي سلامة الأمُ ، ويقدمون التهاني ، والتمنيات الخيرة للمولود .

– جرت العادة علي أن والد المولود الجديد يقدم هدية ، مهما كانت قيمتها – حتي ولو كان شيئاً رمزياً إلي أول مَنْ تُلقي بالطفل إلي أحضانه ؛ سواء أكانت الأم ، أو الداية ، أو الممرضة ، فلو تلقي الطفل من زوجته ، فيقلدها سواراً ذهبيًا ، أو عقداً .. فعلي الأب أن يُهدي الأم ، التي أنجبت له ، هدية قيمة .. وربما يكون قد فكر في ذلك من قبل ، وأعد نفسه لهذا اليوم .. وأكثر الهدايا تداولاً في مثل هذه

المناسبة ؛ الأساور ، السلاسل الذهبية ، الأقراط ، الخواتم المرصعة .. أو أطقم الملابس الجميلة ويمكن أن يُرجيء ذلك إلي يوم السبوع .. ففي هذا اليوم ؛ يقدم الزوج والحماة ، والوالدين والآقارب ، والأصدقاء ، والرفاق هدية النفاس .. ونصيب الأم والمولود محفوظ في هذه الهدايا..

تنال الأُم في الغالب ، أُسورة ، أو قطعة ذهبية ، أو ماشاء الله ، أو حتي دفتر توفير بنكي .. وربما يكون ذلك من نصيب المولود مع أطقم ملابس للطفل ، أو عربة طفل ، أو لعب ، وربما خراف ، ونعاج أو أبقار في المناطق الزراعية ، أو الفلاحية ، والرعوية .

- القيم الإسلامية ، وتراثنا الإسلامي ، والسنه الغراء تحض علي :

أ- أن يؤذن في أُذن المولود اليمنى ، وتقام الصلاة في أُذنه اليسرى ..

قال رسول الله « ﷺ » ﴿ **مَنْ وُلِدَ له مَوْلُودٌ فأذن فى أُذنه اليمنى ، وأقامَ فى أذنه اليُسْرىَ لَمْ تَضُرَّهُ أمُّ الصبْيَانِ** ﴾ .

ب- أن يحلق شعر رأسه ، ويتم التصدق بوزنه من الفضة علي الفقراء والمساكين .

ج- تذبح العقيقة ، ويدعي إليها الفقراء ، الوجهاء . وللبنت عقيقة ، وللولد عقيقتان .. ولا حرج في أن يوسع صاحب السعة ، والثراء :

قال رسول الله « ﷺ » ﴿ **كُلُّ غُلاَم رَهِين بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سابِعِه ويُحلَقُ وَيُسَمَّى** ﴾ .

* * *

النفـاس

تقضي الزوجة حديثة الولادة مدة أربعين يومًا فيما يسمي بالنفاس . وتُعتبر هذه المدة إجازة كاملة الجوانب للزوجة الموظفة ، أو العاملة . ويتم الإستعداد لفترة النفاس هذه حتي فيما قبل الولادة ، وترقد النافسْ وهي بكامل زينتها في فراش النفَاس . حيث مازالت مرهقة .. مجهدة ضعيفة المناعة ضد الميكروبات ، والأمراض .. لابد من البقاء في الفراش ما بين إسبوع إلي عشرة أيام ، ولابد من بذل أقصي الجهد ، والنظافة ، والعناية ، والرعاية بها خلال فترة النِفَاس ، ويعاونها الكبار ، والجيران ، والآقارب في أعمال البيت ، ورعاية الرضيع حتي تُسرع بالنقاهة ، وتعود إليها عافيتها .. ويراعي عدم خروجها من المنزل ، وعدم تعرضها لأي ملوثات طوال مدة النفاس هذه ، والتي تبلغ أربعين يوماً . وفي هذا حفاظ عليها ، وعلي رضيعها .. وإلا فانها تكون معرضة لحمي النفاس ، ولها مسميات عديدة بين الشعب ، ومَنْ تقع في براثن هذه الحمي ، فلا مجال للحديث عن نجاتها ..

وكما يكون هناك إحتفال بالرضيع في اليوم السابع ، ويحتفل به وسط فرح وبهجة من كل الأهل ، والآقارب وأطفال الجيران ، ويوزع علي الحاضرين الحلوي ، واللعب علي الأطفال بهذه المناسبة في بعض المجتمعات تتم المراسم والعادات خلال هذه المدة ، فلها طعام خاص ، وشراب خاصُ - "الموغات " في الإسبوع الأول ، وخلال حفل السبوع يوضع الرضيع داخل غربال ، ويلف الأطفال والنساء حوله وهم يرددون بعض الأغاني ، والآهازيج .. كما تدق بعض النسوة في الهون ، وهم يرددون الضحكات ، وسط مطالب معينة من الرضيع ؛ فاهل الزوجة يطالبونه بسماع كلام الأم ، بينما أهل الزوج يطالبونه بسماع كلام الأب ..

- بعد انقضاء الأربعين يوماً ، تغتسل الأم ، والطفل وسط مراسم معينة - تُسمي هذه الفترة بمسميات مختلفة في المجتمعات ، والتجمعات الإسلامية المختلفة . وتّختتم مدة الولادة بعد أنقضاء مدة النفاسة .. وإن كان الإغتسال ، والتطهر لا يرتبط بنهاية المدة ، بل يمكن أن يتم الاغتسال والتطهر للأُم ، وحَمُوم الطفل خلال هذه المدة ..

إختيـار الإسـم

التـراث الإسلامي يحـرص علي حُسن إختيـار الإسم للمولود الجـديد ، وغالبًا ما يكون قد تم الإختيار ، أو شبه الإتفاق علي إسم للذكر ، وإسم للأنثي قبيل الوضع . وتتم التسمية في غضون بضع أيام من الوضع .. فالتسمية من أهم العناصر التي تتبع الوضع .. حيث أن المولود سوف يحـمل هذا الإسم طوال حيـاته ومن هذا المنطلق حرصت القيم الإسلامية علي حُسن الإختيار ، فالرسول ﷺ يقول ﴿ إنَكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيامَةِ بأسمَائكُمْ وأسْماء آبائكُمْ فأحْسِنُوا أسماءَكُمْ ﴾ .

وقد ساعد التطور العلمي ، وظهور الأشعة فوق الصوتية علي تحديد نوع الجنين ، وهذا بدوره ، قد سهل عـملية إختيـار الإسم ، وحتي هؤلاء الذين لا يلجئون لهـذه الوسائط فإنهـم قبل الوضع قد أعدّا إسمين ؛ للذكر ، والأنثي . ويوضع فى الإعتبار وجهة نظر الكبار عند الإختيار .. والذين لم يختاروا من قبل ، أحياناً يختارون الإسم وفقاً للمناسبات التي يمكن أن تتصادف مع الوضع ، كالعيد ، أو عرفـات ، وقادر ، أو رمضان ، أو شعبان ، أو رجب .. أو وفقاً للمواسم ؛ ربيع ، شتا .. أو من البيئة المحيطة ، وردة ، زهرة ، قـمر ، شمس النهار .. بحـر ، أو وفقاً لآحـداث تقع ساعة الميلاد ؛ رحاب ، صيام ، جمعه ، مطر ، أو وفقاً لأسماء يحبها أهل المولود ؛ سواء من الأسماء الدينية ؛ خير الأسماء ماعـبّد ، وحُمدٌ ؛ عبد الله .. محـمد ، أحـمد ، محـمـود ، مـصطفي .. أو الصحـابة ، أبو بكر ، عـمـر ، عـثـمـان ، علي ، خـالد ، خديجة، أو من أسماء آل بيت رسول الله ؛ عائشة ، فاطمة ، أم كلثوم ، الحسن ، الحسين ، أو وفقاً لإسم الأب ، أو الأم ، أو الجدود .. أو أسماء عزيزة يتمني الطرفان إستمرارها ؛ من العائلة ، أو من القادة أو السادة ، أو نجوم الفن ، والمجتمع ، ..

ومهـما أختلفت الأسباب ، يتم التفاهم بين الطرفين في الإختيـار ، وإن الحق المطلق هو من حق الأب .. فهي مسئوليته التي سيسال عنها .. والإسم الذي تم إختياره ، يُطلق علي المولود من قِبل الجـد ، أو الجـدة ، أو الإمـام .. سـواء سـاعـة الوضع ، أو بعده .. والذي سيطلق الإسم ؛ يحمل الطفل إلي أحضانه وهو في قماطه يجعل وجهه ناحيـة القـبلة ، ويؤذن في أذنه اليـمنى ، ويـقـيم الصـلاة ، ثم يذكـر الإسم في أذنه

اليمني ثلاث مرات ، ويدعو له بالخير ، وأن يباركه المولي . الي جانب هذه الأصول ، فهناك أيضاً ، في بعض المجتمعات المسلمة ، عند قص الحبل السُّري ، وهو ما يُعتبر وريد الحياة ، وتطلق بعض العائلات أسماً من وحي لحظة الميلاد ، وفي الغالب ما يكون من الأسماء المذكورة في الكتب المقدسة .. ومن أسماء الله الحسني ، وصفاته القدسية ، أو النبي ، أو الأنبياء الآخرين ، كعبد الله .. ، محمد ، أحمد ، إدريس رسول ، إبراهيم ، اسماعيل ، زكريا ، يحي ، حسين ، حسن ، الصادق ، فاطمة ، مريم ، زينب ..

* بدأت تزحف بعض العادات الوافدة ، علي بعض المجتمعات الشرقية المسلمة في وضع الإسم ، وإختياره . مثل إيقاد مجموعة من الشموع ، وكل شمعة تحمل إسماً ، وآخر شمعة تنطفيء ، يُطلق الإسم التي تحمله علي المولود الجديد .. أو يقع الإختيار عليه .

أو تنزع ورقات زهرة ، أو وردة ، ومع كل ورقة يذكر أسماً ويطلق علي المولود الإسم الذي يتصادف ذكره مع أخر ورقه ..

قال رسول الله ﷺ ﴿ إنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَ اللهِ ، وعبد الرَّحْمَنِ ﴾ .

كما قال ﷺ ﴿ تَسَمَّوْا بأسْماء الأنبياء ، وأحَبُّ الأسْماء إلى اللهِ تعالى عَبْدُ اللهِ وعَبْدُ الرحْمَن ، وأصْدَقُها : حارِث وَهَمَّام ، وأقْبَحُها : حَرْبٌ ومُرَّة ﴾ .

* * *

الزيـــارات والتهـانـــى

لا يتردد الآقارب ، والمعارف ، والأصدقاء ، والأهل ، والزملاء والجيران عن زيارة الوالدة في فترة النفاس .. وتُعتبر هذه الزيارة للتهنئة بالمولود ، والوضع بالسلامة ، ورؤية الرضيع .. فالوضع أو الميلاد من الآحداث التي يهتم بها الأهل ، والآقارب ، والأصدقاء، والجيران ، ورفاق العمل ، وحتي أهل الحي ، لا يتوانون عن تقديم التهنئة بهذه المناسبة ، ويحرصون علي التعبير عن أمانيهم الطيبة ..

ساعة الزيارة تكون النافس ، في فراشها ، ومفروش عليها مفرش مشغول ، أو مطرز .. أو تكون هي مرتدية فستان مطرز ، أو مشغول .. والرضيع في مهده بالقرب منها ، في الأيام الثلاثة الأول يزورها كبار العائلة ، واقرب الآقرباء .. تستمر الزيارات طوال أيام النفاس الأربعين .. ولا يحضر الزوّار وآياديهم خاوية بل كل منهم أحضر هديته إما للأم ، أو للمولود .. وغالبا ماتكون الهدية مصحوبة بباقة من الورود ، أو صندوق من الحلوي ، في المدن يحرص صاحب الهدية أن تكون فى لفافة أنيقة ، ومحاطة برباط أحمر .. إذا كانت ماكولات ، فيحرص الكبار علي ان تكون من المواد الغذائية المدرّة للبن الام ، إذا كانت ملابس للام ، فيراعي فيها أن تُناسب وضع الجسم بعد الوضع ، وما يمكن ان يكون عليه .. إذا كانت الهدية للمولود ؛ فتكون عبارة عن أطقم الملابس ، أو قطع ذهبية ، أو لعب أطفال .. أو دفتر توفير ، أو حصّالة نقود .. ويَحرص الزائر علي شرب "المغات " أو "شربات النفاس " في معظم المجتمعات العربية ؛ يُقدم"المغات" : وهو عبارة عن مشروب يُشرَب ساخناً وأهم عناصره الحلبة المطحونة .. في تركيا ، يُقدم شربات أحمر اللون ، وفي العادة ما يُصنع من سكر يُطلق عليه إسم "سكر النفاس " .. ومهما اختلفت الكلمات أو اشكال التعبير ، فكلها تدور حول مفاهيم ، وجوب تهنئة النافس وفي كل اللغات الإسلامية، تدور حول المعاني التالية ..

– باسم الله ، ماشاء الله ..

– حمدا لله على السلامة .. – كَجمش اولسون ..

– ألف مبروك .. – كَوزكز آيدين ..

- ليبارك الله فيه .. — خير لي ، اوغورلي اولسون
- فليتربي فى حضن أبويه .. — أنه لي ، بابالي بويوسك
- آطال الله فى عمره .. — اوزون عمرلي اولسون
- ليكثر الله فى رزقه .. — الله نصيبني بول ايتسين
- ربنا يخلّيه لوالديه .. — الله ، آنه سينه ، باباسينه باغيشلاسين
- بارك الله فيه لوالديه ، وأمته ، و و طنه .. ودينه ..
- وطنه ، ميللتنه ، دينِنه خير لي اولسون.
- أثبت الله قدميه على طريق محمد .. — محمدي آخلاقي اولسون
- وهبها الله أخلاق فاطمة .. — فاطمه آخلاقي اولسون

* * *

لا يحتاج المولود في الإثني عشرة ساعة الاولي إلي تغذية ، بعدها يتغذي علي لبن الأم. وعلي الأم أن تنظف صدرها ، وثديها جيداً قبل أن تُلقم رضيعها حلمة ثديها.. ولبن الأم مهم جداً بالنسبة لتغذية الرضيع وتنميته ، وتربيته ..

لابد من مراعاة الا تقل درجة حرارة الغرفة ، أو المكان الذي يتم فيه حمَّام الرضيع عن عشرين درجة . تسقط السُّرة في غضون من ثلاث إلي سبعة أيام .. وعلي الأمهات أن تكون سعيدة ، مرحة وهي تُرضع وليدها .. وأن تهدهده وهي ترضعه .. وأن تداعبه وتلاطفه وهو يقضي حاجته .. وتترنم له بالأغاني ، أو الأهازيج ، أو الكلمات اللطيفة .. في اليوم السابع .. يقام في البيت له السبوع يُقرأ فيه القرآن، أو تنشد الأناشيد الدينية .. وتذبح الذبائح والأضحيات ، وتوزع علي الفقراء والمساكين لسلامة الوضع ...

عقب تسمية الرضيع ، يتجه الأب الي السجل المدني ويقيد المولود ، ذكراً كان ، أو أنثي .. ويتسلم شهادة بالميلاد ، مقيدفيها مكان ، وتاريخ الميلاد ، وإسم المولود ، وإسم الأم ، و الأب .. في المناطق الزراعية يمكن أن يُشتري للمولود بعض الأغنام ، أو المواشي تنمى بإسمه ، لكي ينتفع بريعها في مستقبل أيامه .. في بعض مناطق تركيا تُغرس بعض الأشجار ، بإسم المولود الجديد ، ولما كان الذكر هو الذى يتحمل العبء الأكبر في مصاريف الزواج وتاسيس البيت الجديد.. لتغطية هذه المصروفات، تغرس بإسمه مجموعة من الأشجار ، وعند بلوغ سن الزواج ، تُقطع هذه الأشجار ، ويصرف بثمنها علي الزوج .. وفي الغالب ما يكون من اشجار الحور .. فهي معمرة ، وتنمو بسرعة ، أما إذا كان المولود بنتًا فيغرس لها أشجار التوت ، أو الجوز ، أو التفاح أو من تلك الأنواع التي تصلح لصنع جهاز الفتاة .. أو أن تزرع وتنمي البساتين من أجل الأولاد ؛ ذكوراً ، وأناثاً معاً ...

* * *

التسنين

تظهر بواكير أسنان المولود قبيل الشهر السادس .. ظهور أسنان اللبن ، في هذه المرحلة ، تُعتبر علامة طيبة علي صحة الطفل ، وتطوره بالشكل الطبيعي .. ويخلق هذا نوعاً من الفرح والسعادة بين أفراد الأسرة الصغيرة ، والعائلة الكبيرة علي حدٍ سواء .. وتُقام الولائم بهذه المناسبة في بعض المجتمعات ، وفي بعضها الآخر ، يُطبخ "البلغور أو تسوي البليلة " لهذا السبب . وماهذه إلا قمحاً يغلي في الماء ، وبعد أن يسوي لكي يسهل قضمه ، وأكله ، يقدم للحضور من الآقارب والجيران ، وسط جو من المرح ، والفرح ولا ينسي الحضور إحضار بعض الهدايا للطفل معهم ، وخاصة من تلك التي تُساعد علي سرعة نمو الأسنان – "عضاضه " أو من ثمار الفاكهة الجافة "الياميش " حتي يوضع في البليلة " قبل التقديم للحضور .. ويُصنع الفشار أيضاً ... وأحيانًا ، يوضع الوليد علي صينية ، أو مفرش من القماش، وتُنثر علي رأسه كمية = "حفنة " من البليلة أو من الفشار ..

نمو الطفل

علي الآباء ، والأمهات الذين يلاحظون شيئاً غير عادي ، في نمو الطفل ، كتأخير التسنين ، أو المشي ، أو النطق ، أو حركات لا إرادية ، ألا يصغوا إلي التلقين ، أو التأويل المحلي من المحيطين بهم ، ويتجهون به إلي أقرب مركز طبي يهتم بطب الأطفال .. وعلي كل الآباء ، والأمهات أن يواظبوا علي التردد باطفالهم علي أقرب المراكز الطبية التي تهتم بالأسرة ، والأمومة ، والأطفال .. وألا يهملوا في قيد اطفالهم بها .. والمواظبة علي التطعيم ، والتحصين ضد كل الأمراض التي يمكن أن يتعرض لها الطفل ..

* * *

الختان

تمثل عملية الختان في التراث الإسلامي مكاناً مهما للأطفال والصبية الصغار . . وتجري هذه العملية بمشارط قاطعة لقطع الجلد الزائد الذي يغلف عضو التذكير لدي الطفل . . ويُطلق عليها كذلك "طهارة" ويقوم بها في المدن الأطباء . . وفي القري ؛ حلاق الصحة أو بعض التمرجية ، أو الممرضين الرجال . وتمثل مرحلة غاية في الأهمية في حياة الأطفال الذكور . .

– كانت هذه العملية تَجرى وسط مراسم ، وعادات واحتفالات تختلف من مجتمع إلي آخر . .

تُجري عملية الختان فيما بين عمر ٤ –٥ أو ١٤ – ١٥ بينما في اليمن وجنوب الجزيرة العربية ، تتاخر في بعض المناطق إلي ما بعد سن البلوغ ، أو قبيل الزواج . . وأحياناً تتم عملية الختان بشكل جماعي ، لكل الأولاد الذكور في القرية أو الحي معاً . . والتراث الإسلامي يُسجل أن السلطان أو الملك ، أو الأمير ، أو الصدر الأعظم أو الوزير كان يأمر بإقامة حفل كبير بمناسبة إختتان ولي العهد ، أو الأمير ، ويختتن معه الأولاد الذكور في المدينة كلها . . وتُقام الأفراح والليالي الملاح ، وقد أستمرت سبعة ليالي أحياناً كما بلغ عدد المختتنين ما يزيد عن خمسمائة صبي . ولم يقل سن أصغرهم عن أربع سنوات . كما كان يتكفل أهل الخير ، أو الآقارب الأثرياء بختان الصبية الفقراء ، واليتامي والمساكين .

تفضل فصول الربيع ، والصيف والخريف للإختتان ، كما تفضل شهور مايو ، ويونيو ، وسبتمبر = أيلول مراعاة للظروف الدراسية للأطفال والصبية . وتكثر عمليات الختان في أيام الخميس ، والسبت ، والأحد . . مراعاةً للناحية الدينية ، وعطلة نهاية الأسبوع في بعض المجتمعات الإسلامية .

حفل الختان

– المختتن ملك الأسرة ، أما العريس فملك العروس ، من هذا المنطلق تكتسب حفلة الختان أهمية قصوي في بعض المجتمعات الإسلامية ، بحيث يخرج المبشرون ، والداعون– في المناطق الزراعية – قبل الموعد المحدد بأيام عديدة . . حيث يوزعون الدعوات التي سبق طباعتها بشكل فاخر في المدينة . . كما توجه الدعوة إلي الجيران

والمعارف جنباً إلي جنب مع الأهل والآقارب والأصدقاء .. ومن ناحية أخري يتم إعداد وتجهيز الصبي الذي سيختتن .. تخاط له في المدينة زي الإختتان ، أو يُشتري من المحلات التي تخصص قسماً لذلك فيها ..

– في الغالب الآعم ، ملابس الإختتان ؛ تكون عبارة عن جلباب = دشداشة = عنتارى أبيض ، وطاقية = غطاء رأس منقوش عليها "ما شاء الله" وحذاء أبيض جديد .. أو جاكت وبنطلون أبيض ، وحذاء أبيض ، وطاقية بيضاء مطرزة بكلمة "ما شاء الله" . يوضع فوق الملابس ، وشاح من اللون الأحمر ، أو الأزرق أو الأخضر.. ومما لا شك فيه أن هذا الوشاح مع الجاكيت ، والقميص الأبيض ، والحذاء والجورب الأبيض ، ورباط العنق مع الطاقية يخلق نوعاً من التكامل اللوني الظريف .. أما في المناطق الريفية ؛ فهذا الوشاح مع الجلباب والسروال الطويل ، والجورب والحذاء الأبيض مع الطاقية المطرزة بما شاء الله . يخلق نوعاً من البهجة والفرحة فى النفوس ..

وبصفة عامه – ومن أجل لحظة الإختتان – وسواء أكان الحفل في المدينة ، أو الحضر ، أو الريف ، فيخاط جلباب أبيض قصير – يصل حتي الركبة فقط – أو قميص أبيض طويل يصل حتي الركبة أيضاً . ومن المعتاد أن تُهدي ملابس الختان للصبي ، أو كسوة الختان من أم الأب = الجدة ، أو أم الأم ، أو الجد والد الأم ؛ أو العمة ، أو الخالة .. أو الأخت الكبري.. أو الخال . تُزين غرفة المختتن قبيل حفل الختان .. كما ينقش أو يُزخرف سريره وفراشه .. توضع الأوراق المذهبة ، والمفضضة أو الأوراق الملونة ، والبلونات في كل أركان الغرفة .. وأحياناً ما يُعلق السجاد الفاخر علي الجدران أو تُفرش به أرضية الغرفة .. وفي اليوم السابق علي الإختتان ، أو في صباح نفس اليوم يطوف الآقارب بالصبى وهو علي صهوة جواد ، أو عربة حنطور أو سيارة ، أو جرار زراعي ، بكل الأحياء، أو القرية والقري القريبة وتكون هذه الزفة بالطبل ، والزمر ، والآلات الموسيقية الشعبية، والأطفال تتغنون بالأغاني ، والمواويل والآهازيج .. وبهذه الزفة يكون قد تم الإعلان عن الختان بشكل أوسع .. وسمعت به البيئة المحيطة ، والقري أو الأحياء المجاورة ...

لا ينسي الأهل زيارة أضرحة آولياء الله الصالحين الموجودين في المنطقة ، لقراءة الفاتحة ، والتاسى بأعمالهم ..

وخلال الإعداد لحفل الختان ؛ يتم استحمام الغلام ، وحلاقة شعره .. تُجري عملية الختان في داخل المنزل ، أو الحديقة .. أو في كازينو أو حتي في قصر من قصور الأفراح .. وأينما جرت هذه العملية ، فيطلق عليها في تركيا (فرح الختان) وفي المجتمعات العربية ؛ حفل الختان – أو طهارة الغلام ، أو وليمة الختان .. وقبل إجراء العملية يتم الإتفاق مع المختص ، وإن كان إجراء الختان في المستشفيات والمراكز الطبية من قِبل الأطباء قد أخذ في الانتشار في الأيام الأخيرة . بل أصبح هناك مَنْ يحرص علي إجراءها في نفس مركز التوليد قبل مغادرة الأم حين الوضع .. وذلك حرصاً علي سلامة الطفل ، وتهرباً من النفقات يستقبل الطفل الذي سيختتن ، وهو في ملابس الختان . أستقبالاً لطيفاً ، وبكلمات لينة ، ومطمئنة .. وخلال ذلك يخلع الطفل بنطلونة ، وسرواله ، ويرتدي قميص ، أو جلباب الختان .. مع الحفاظ علي الطاقية المزخرفة بعبارة « ما شاء الله » .

– يقوم واحد من أهل الطفل ، أو الآقارب ، أو الجيران أو مَنْ يكون له حق عند والد الطفل أو ممن يساعدوا الطبيب ، أو حلاق الصحة سابقاً ، بإمساك الطفل خلال إجراء العملية ، ويطلق عليه " كِرْوَه Kirve " .. بحيث يَجْلس الشخص هذا علي كرسي ، ويُجْلس الطفل في حضنه ، ممسكًا بفخذيه ، ومبعدهما عن بعضهما البعَض، وهو ممسك به جيداً ، خلال ذلك يكون الخاتن ، قد جلس أمام الطفل ، وانحني نحوه آخذا في قص جلد الخِتان ..

يقوم الخاتن بمهمته هذه ، وهو يكبر ، وما أن ينتهي وسط بهجة الحضور حتي ينطلق الجميع مطمئنين الطفل بأن كل شيء قد إنتهي ، مرددين "ما شاء الله .. والحمد لله .. إنتهت علي خير ما يرام " يُؤخذ الطفل إلي فراشة المزخرف ، ويُقدم والد الطفل أو جده للخاتن هدية إلي جانب المبلغ المتفق عليه ، أو المعتاد ، وكذلك تُقدم هدية للممسك بالطفل ، وتكون في المناطق الرعوية أو الزراعية ، كبشاً ، أو جدياً ، وأحياناً عجلاً .. أما في المدن فتكون الهدية أقمشة أو ملابس ...

يقدم الحضور ، وفي مقدمتهم الخاتن ، والممسك التهاني إلى والد الطفل الراقد في فراشه بعد الأختتان ، وإلي أمه وسائر الآقارب ، متمنيين له طول العمر ، ويقدم المدعوون هداياهم إلي الصغير .. ومن أشهر الهدايا التي تقدم في مثل هذه المناسبة ؛

القطع الذهبية ، ساعة ، قلم حبر قيم ، دفتر توفير ، كتاب ، دراجة ، أو ألعاب مختلفة ، أو طقم ملابس جديد .. والكثيرين الآن يفضلون وضع مبلغاً من المال في ظرف ، ويضعونه تحت وسادة الطفل ك "نقوط" الختان ..

يحرص بعض الأغنياء علي إجراء عملية الختان لطفل أو أكثر من الفقراء والمساكين، أو اليتامي مع إبنه ، وتقدم الهدايا للإثنين معاً ..

حسب الوضع المادي للعائلة ؛ ترتب حفل الختان .. فتقام عروض القركُوز أمام الطفل لتسليته ، لكي ينسه آلامه .. أو يُقدم له عرضاً من عروض خيال الظل ، أو العاب السحرة والحواة ، أو عروض كوميديا مضحكة يشترك فيها أشهر كوميديان في المنطقة .. ربما يقدم حفل موسيقي صغير بمشاركة بعض المطربين ، والمطربات ، بل والراقصات أحياناً .

تشهد المناطق البدوية ، والرعوية ، والزراعية العروض الشعبية كالتحطيب ، ورقصة الخيل .. أو العرضة .. أو لعبة السيف وغيرها من الآلعاب الشعبية والتي تشتهر بها فرق الفنون الشعبية في المنطقة ...

خلال ذلك تُعد الوليمة للضيوف ، أو يُكتفى بتقديم الحلويات ، والجاتوهات ، أو البقلاوة ، أو الأرز باللبن ، أو الزردة ، أو المشروبات المثلجة ؛ عصائر الفواكه .. ومع الصحوة الإسلامية في كثير من المجتمعات ؛ بدأت تعود الإحتفالات الدينية ؛ في كثير من المجتمعات ؛ حيث يتلي القرآن الكريم ، والإنشاد الديني ، ثم يعقب ذلك تقديم طعام الوليمة ..

إن الطعام الذي يُقدم في حفل الختان ، لا يختلف كثيراً عن طعام حفل الزواج = الفرح .. وإن تراثنا يدعو إلي عدم الإسراف في مثل هذه الظروف ، ويحض علي تقديم الصدقات للفقراء ، والمساكين ، واليتامي ورعايتهم ، وإرضاءهم بهذه المناسبة . ومما ورد في كتاب "مرآة جزيرة العرب" في الفصل الخامس عن الختان ما يلي :

.. إعتاد البدو علي ختان أولادهم الذكور بعد سبعة أيام ، وأحياناً بعد أربعين يوماً من الولادة . وبعضهم يترك هذه العملية إلي ما بعد ذلك ، أما أعراب قبيلة (هذيل) التي تسكن بالقرب من مكة المكرمة ، فقد أعتادوا علي عدم ختان أولادهم قبل

موعد الزواج . أي أنهم كانوا يقرون إتمام الختان ، قبل موعد القران مباشرة .

ص٢٩٥، ٢٩٦ .

وكان حفل ختان الشاب يتم فى جمع غفير ، يضم أصدقاء الفتى وأحبابه . كما كانت تدعى القرى المجاورة لهذه الحفلات . وكان كل مدعو يقدم إلى المختتن أو عائلته من الأغنام والإبل والأبقار حسب قدرته . وكانت من العادات المرعية أن تصل هذه الهدايا قبل موعد الختان والعرس بعدة أيام .

وكان المدعوون يتوجهون إلى مكان العرس فى جماعات تضم كل منها خمسين أو ستين شابًا ، لأن التوجه إلى العرس فرادى من الأشياء المذمومة لدى العرب .

وكان المدعوون يطلقون نيران بنادقهم إلى أن يقتربوا من قرية العريس . وعندما يقتربون ينطلقون فرحين ينشدون بصوت واحد أشعارًا كلها مديح لأوصاف العريس . وبينما البعض يقرض الشعر ، كان البعض الآخر يرقص ويلعب بالبنادق والمزارق أمام الجموع المتجهة نحو مكان العرس .

وما أن يسمع أصحاب الحفل وأقرباء العريس هذه الأصوات ، حتى يخرجون لإستقبال المدعوين وسط قصائد المدح وطلقات البنادق والطبنجات ويصحبوهم حتى الأماكن المخصصة لهم .

وعند وصول المدعوين إلى الأماكن التى خصصت لهم من قبل ، يقدم صاحب العرس لكل عشرة منهم خروفًا ومقدارًا كافيًا من الأرز ووعاء كبيرًا ، ويرجوهم أن يظلوا فى عالمهم الخاص بهم حيث يقيمون .

ومواقع إقامة الضيوف لا تكون وسط المنازل والخيام بل تكون خارج القرية فى الوديان أو فى أحضان الجبال .

ويقوم الضيوف بإعداد الطعام الذى بعث به صاحب العرس ، حيث يذبحون الخراف بأنفسهم ويسوونها ويطبخون الأرز بمرقها .

وبعد ذلك يجتمع المدعوون فى مكان العرس ، ويخصص مكان لكل قرية أو خيمة، يشعلون أمامها نارًا كبيرة . وعلى الرغم من أن المدعوين جميعًا واقفون ، إلا

أنهم يقسمون أنفسهم إلى مجموعات . تقف كل مجموعتين حول نار من النيران، وتقوم كل مجموعة بذم المجموعة الاخرى أو مدحها ، ويستمرون هكذا حتى الصباح.

وفى اليوم التالى يتجمع كل المدعوين وهم يلعبون ببنادقهم لعبة (الأردة) [1] تتقدمهم مجموعة من رجال أهل المختتن ، وتأتى خلفهم النساء حتى يصلون إلى الميدان المخصص للختان . وبعدها ينزوى الشاب الذى سيتم له الختان مع شخصين من أقارب الفتاة ومن سيقوم بعملية الختان نفسها . وينفرد الفتى وقد أمسك فى يديه جنبيتين ، والمختن أمامه ، ويقوم وهو واقف بقرض الشعر الذى يفتخر فيه بشجاعته ويعدد نسبه أباً عن أب . ويكون المختن فى هذه الأثناء مشغولاً بواجبه . وما هى إلا دقيقتين حتى تكون المهمة قد انتهت ، وإن كانت تتم بسلخ العضو كله ، ثم يصل الفتى إلية الكرسى المعد لجلوسه .

وتذكر بعض الروايات ، أن الفتى يقوم بعملية الختان لنفسه ، وتتم العملية أمام الفتاة نفسها. ويعد ذلك من جملة الآداب والأعراف المعترف بها بين الأعراب . ومن أكبر العيوب أن يحدث أثناء إجراء هذه العملية أى نوع من البكاء أو الصراخ أو العويل أو ما شابه ذلك من قبل الفتى .

وإذا ما حدث أى شئ من ذلك فإن هذا الفتى يسقط حقه فى الزواج من هذه الفتاة، ويتصف بالجبن وعدم التحمل . وتنحط سمعته بين قبيلته والقبائل الأخرى التى لا توافق بدورها على إعطائه أى بنت من بناتها . وبناء عليه يكون مضطراً إلى الزواج من إمرأة ثيب .

وأمام هذا الموقف ، فإن الفتى يتحمل الألم ويصبر عليه قدر الطاقة ، مهما كان قاسيًا . وعليه أن يترنم بالأشعار التى قيلت فى المدح والفخر ، وأن يظهر الصبر والثبات ، وعدم التاوه حتى تنتهى العملية .

كل ذلك كان يتم وسط تصفيق وهتافات الإستحسان والتشجيع من ذويه ، والتقدير والإعجاب من فتاته . وكان الفرح يبدأ عقب إلتئام هذا الجرح .

---

(١) الأردة : هى لعبة الحرب التى تشبه رقصة الحرب عند العرب .

وكثيراً ما يلتئم الجرح فى أربعة أشهر ، وإن كانت نسبة الوفيات المترتبة على هذه العملية تصل فى كثير من الأحيان إلى أربعين فى المائة . ولما كانت هذه الطريقة من علامات الشجاعة والبطولة ، فإن عدد الوفيات مهما إرتفع لا يثنى القوم عما تعودوه . حتى وإن كانوا على يقين كامل بوفاة كل من يختتن بهذه الطريقة .

وقبيلة هذيل من القبائل المتمسكة بهذه الطريقة ولذلك فهم لا يقدمون على ختان أولادهم قبل أن يصل الغلام إلى الخامسة عشرة أو العشرين من عمره ، حتى يكون قادراً على تحمل الألم والصبر والثبات عليه . وكثيراً ما تجرى حفلات الختان فى أيام الأعياد .

وما أن ينتهى المختن من مهمته حتى يتقدم الفتى بضع خطوات إلى الأمام وهو يصيح قائلا : (أنا فلان بن فلان الشجاع البطل ... إلخ) .

ولإثبات صبره وتحمله وبطولته كان يثب ما يقرب من مائة خطوة بعد الانتهاء من العملية ، وعلى الفور يقوم الرجال الحاضرون بإطلاق النيران والنساء بدق الطبول والدفوف والتغنى بالمواويل ، ويزفون الغلام فى كل أرجاء القرية . وفى النهاية يحضرونه إلى منزله ومرقده . وبعد ، يقوم صاحب الفرح بتوزيع الأطعمة المعدة على المدعوين جميعًا .

والطعام المعد لمثل هذه المناسبة عبارة عن دقيق مطبوخ صب على سطحه زيت الزيتون .

وكانو ينثرون على مرقد الفتى حفنات الزبيب ، إيذانًا بانتهاء الحفل .

* * *

مكانة الطفل في العائلة

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

البنون هم أقيم شيء في العائلة ، ويجب أن يحتل الإبن أهم ، وأقيم ، وأوضح مكان فيها .. وهذا ، لا يتأتي بالمال فقط ، بل هي عملية تعليمية في المقام الأول ، تراثنا ، وقيمنا الإسلامية تَعتبر الطفل آمانة مقدسة لدي العائلة .. هم أكبادنا تمشي علي الأرض ، العائلة ، الأمة كلها تَعتبر الأولاد " خير خلف ، لخير سلف " . ومن هذا المنطلق وجب حسن التعليم ، والتربية . وإتسع نطاق مفهوم التعليم ليشمل الجنين وهو في رحم أمه .. وعقب خروجه للحياة مباشرة .. وإهتم التراث بإسداء النصح للأم ، ومازال الجنين في بطنها " .. فالعرق دساس ، ومَنْ شبَّ علي شيء شاب عليه ، ويموت المرأ إلا مَنْ ثلاث ... ولد صالح يدعو له ..

إنطلاقاً من هذه المفاهيم ، فالأسرة هي المهد الأول الذي يتلقي منه الطفل مباديء تعلم الصدق ، والخير ، والتعود علي الصدق ، وعدم الكذب ، والتعود علي العادات الجميلة ، إكتسابها .. فلهذه التنشئة الحسنة ، يجب أن تكون الأسرة هي المهد التطبيقي الأول ، وأن تبذل قصاري الجهد لتحقق ذلك .. وكل أفراد العائلة ؛ هم القدوة ، هم النبع ، هم المغذيٌ الذي يتشرب منه الطفل مناهله .. فكل حركة يأتى بها أي فرد من أفراد العائلة هي نموذخ يُقلد ، ويحتذي من قبل الطفل ، وتُخزن في لا شعوره ، حتي تنطلق في الوقت المناسب .. مثل هذه الأمور يجب ألا تغيب عن وعي الجميع .. وأن يدركوا مدي التأثير الذي ستتركة تصرفاتهم .. والتراث حافل بالحكايات التي تدعم هذا الطرح . كما أن نظم التعليم الحديث لم تُغفله .

تصرفات الأبوين ، مرصودة ، مرئية ، ومنقوشه في الذاكرة ، هذه أصبحت ، بل كانت .. حقائق يجب علي الأبوين مراعاتها .. وأن يتحكموا في تصرفاتهم أمام أطفالهم .. مِنْ هذا المنطلق أيضاً أصبح الإهتمام بمدارس الحضانة ، ومناهجها ، وما يدور فيها ، ينال إهتماماً كبيراً ، حتي لا تترك الأسرة وحدها ، وحيدة في هذا المضمار فالقيم السلوكية التي يكتسبها الطفل في هذه المرحلة هي التى ستحدد في

المستقبل حياته ، علاقاته مع والديه ، وأخوته ومَنْ يكبرونه من الآقارب والرفاق ، والجيران . يجب أن تكون الحضانة ، والأسرة مساعدة لهم .

إن الطفل يتعلم من والديه حب الناس ، ومشاعر الأخوة الإنسانية ، وإحترام الكبار، والعطف علي الصغار ، ومحبتهم ، والرفق بالحيوان ، وحماية المال ، والإلتزام، وإدراك أن الإسراف فيه ضرر بالأهل والوطن ، والأمة .. إنه يتعلم هذه المشاعر كتطبيق من والدته وأبيه ، ويجب أن يتعلمها ، وتغرس فيه من هذه السن المبكرة وعلي الزوجين قبل أن يتخذا أي قرار فيه تاثير علي الأطفال كتغير المسكن ، أو الحي ، أو القرية والمدينة ، أو طبيعة العمل ، أو المدرسة أن يفكرا في هذاالقرار ، ويحسبا توابعه ، وتداعياته قبل إتخاذه وتطبيقه . . .

* * *

تعليـــم الطفـــل

إن تربية الطفل ، وتعليمه ، يجب أن يكونا هما العنصر التالي مباشرة ، والذي يتلو التغذية الجسدية ، وتنمية البدن في حسابات الأسرة ، ومجالات إهتمامها .

ويجب ألا يغيب عن الذهن أن هذا التعليم ، وهذه التربية قد بدأتا منذ نعومة أظفار الطفل ، بدأتا في البيت والشارع ، والحي ، وأن هذه البداية سوف تستمر وتُنمي في المدرسة ، وأن هذه الأماكن تكمل بعضها .. فالعائلة "البيت "والحي ، والمدرسة يجب أن تتعاون في تشكيل نفس القيم في نفس الطفل .. وأن تجعلاه عنصراً سوياً ، سليماً ، ومعافاً لوطنه ، وللأمة التي ينتسب اليها .. فالقيم والتربية ، والتعليم الذي يتلقاه في البيت ، يجب أن يكون متوازياً مع ما يكتسبه من البيئة ، والمدرسة .. وما لم يتحقق ذلك ، ويُغذي بإستمرار ، فإن ذلك يمكن أن يخلق خللاً يصعب ترميمه وإصلاحه فيما بعد .. لابد من الموائمة بين قيم البيت ، وتطبيقات البيئة المحيطة ..

تعليم الصبية في المجتمعات القديمة

لم تشهد العصور السابقة ، في تعليم الصبية وتربيتهم ما تشهده الأيام الراهنة من تعدد الروافد .. فنحن نري اليوم إلي جانب البيت ، هناك التعليم المدرسي ، والتعليم الديني ، والتلقين البيئي .. كانت المباديء ، والقيم التعليمية تُنقل من جيل الي جيل عبر الوالدين ، ومَنْ يعيشون في محيطهم من الكبار ، ومن رجال الدين في محيط حياتهم اليومية .

كان الصبية والشباب بهذه الوسائط التعليمية يكتسبون المعارف ، والمهارات ، والوجدانيات السائدة في مجتمعاتهم .. فإن الأجيال التي تنمو ، وتترعرع متعلمة القيم السائدة بين الأمة عامة ، والمنطقة ، والبيت خاصة ، تنقل تلك القيم التي تعلمتها إلي الأجيال التي تأتي بعدها بواسطة التوارث ، والتراث ، والعادات ، والتقاليد ، وهم يؤمنون بذلك الوحدة الثقافية بين عناصر الأمة .

إن المجتمعات الرعوية سواء في الجزيرة العربية ، أو في أواسط آسيا ، كانت لها

نُظمها التعليمية الخاصة بها ، والتي تتلائم مع حياة التنقل والترحال التي تعيشها .. " علّموا أبناءكم الرماية ، والسباحة وركوب الخيل .. " من هذا المنطلق حرصت الأسرة الرعوية علي تعليم الأبناء منذ الصغر إستخدام السيف ، والرمح ، والرماية ، وركوب الخيل ، والهجن .. والصيد بكل أنواعه .. وكانت كل فئة عمرية تفي بمسئولياتها .. كان الطفل إذا ما بدت عليه علامات الشجاعة ، والبطولة ، ينال ما يستحقه من شهرة ، حقوق قد توصله إلي الزواج المبكر .

هذه القبائل الرعوية ، تغيرت حياتها بعد أن عرفت الإسلام ، والتوطن والإستقرار، وتغيرت فى حياتها أيضاً أنماط التعليم ، والتربية ، والتنشئة . في هذه المرحلة ، بدأ الأطفال يعرفون الكتاتيب ، والمدارس = الكليات ، والتكايا ، والزوايا ومكاتب الصبيان ، وكتّاب الأحياء ؛ وتشكيلات السرايات والقصور . كل هذه الموسسات التعليمية ، كانت تغذي الأبناء بأنماط ، ومستويات مختلفة من ا لتعليم ..

كانت جميع الأسر المقتدرة ، والمتطلعة ، تسعي أن يتلقي الأبناء تعليماً يؤهلهم لتحقيق ما تحلم به الأسرة .. ولما كانت دول الشرق كلها دولاً إسلامية ، فقد حرصت علي التعليم الديني ، وبنت مؤسساتها الدينية ، وفقا لهذه الإحتياجات .. وكانت الريادة في المؤسسات التعليمية آنذاك للعلوم الدينية ... ومع بدايات القرن التاسع عشر ، والقرن العشرين الميلاديين ، الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، بدأت تزحف علي المجتمعات الشرقية نظم التعليم الدنيوى ، والمستقي من الغرب المسيحي .. ورويداً .. رويداً بَدأت الثنائية التعليمية تُعبر عن نفسها .. وما زالت هذه الثنائية تسود في كل المجتمعات الإسلامية تقريباً .. التعليم الديني يُلبي إحتياجات الجوانب الدينية ، والروحية ، والمعنوية ، أما التعليم المُسْتَغْرب فيبث المادية ، والتفسخ الأسري بدعوى العصرنه ، أو تحت مسمى الحداثة ..

تعليم الصبيّة بصفة عامة

إن هدف تعليم الصبية ، والشباب ؛ أن يكون صاحب معارف ، ومهارات تمكنه من إدارة أموره الحياتية ، بشكل مستقل ، معتمداً علي نفسه ، ومكتسباً الشخصية السوية ، والسليمة ، المتوائمة مع المجتمع الذي يعيش فيه ، وكعنصر من عناصره . إذا

ما وضعنا أمام أعيننا حياة الإنسان فهي تنقل ، وإنتقال من مرحلة الي أخري ؛ فمن الرضاعة إلي الطفولة ، ومن الطفولة إلي الشباب ، ومن الشباب إلي النضج .. وهدف الأسر ، والعائلات ، والمجتمعات أن تُنمى ، وتُربي ، وتنشيء أبنائها بشكل صحيح ، وسليم لكي يتمكنوا من التواؤم مع شتي جوانب الحياة .. أو بتعبير آخر ، إكسابهم الشخصية الناضجة .. والمهارات ، والخبرات التي تمكنهم من خدمة أمتهم وأوطانهم.

لقد أُجيب في علم الاجتماع علي مفهوم الشخصية علي النحو التالي ؛ إن كل مجتمع يخلق لنفسة نمطاً واضحاً ، ومميزاً . بالشكل الذي إرتضاة لنفسه بتصرفاته الشخصية والتي راها متوائمة مع احكام الخير ، والشر ، والصدق ، والكذب ، وعاداته وتقاليده ، ومؤسساته ، وأحكامه القيمية ، والتي يقدمها للمطالب الثقافية الخاصة بواسطة التربية ، والتلقيد ، والتلقين .. إن الشخصية التي تظهر مُشبعة ، ومطعمة بكل القيم التراثية ، هي الشخصية الشائعة ، والسائدة في المجتمع ..كما أن أفراد المجتمع الذين يأتون بتصرفات تختلف عن القيم التراثية التي تسود في المجتمع ، توصف علي أنها شخصيات غير مناسبة ، أو غير سوية .. فالآعراف ، والتراث تدعو إلي (جاريهم مادمت في جوارهم .. وداريهم ما دمت في دارهم) ومن هذا المنطلق ، فإن الإنسان الذي يحمل الشخصية التي قبلها المجتمع بعيداً عن الوراثة البيولوجية ، يكون قد أستمد كل صفاته من المجتمع ، ويكون قد اكتسب شخصيته هذه بتاثير المؤثرات الثقافية التي تتخلل في كيانه ، وتنساب في وجدانه كإنسياب الهواء في رئتيه منذ لحظة ميلاده .. إن الإنسان أمام الثقافة لايكون متلقياً أو مستهلكاً فقط، بل هو بحكم قدراته ، يستطيع أن ينتقل إلي موقع الإرسال ، والإنتاج ، وأن تكون له إسهاماته ، وإضافاته إلي ميدان الثقافة ، والفنون الجميلة ، والتكنولوجيا ، والإقتصاد، وغيرها من المجالات والميادين المتعددة .. ويساهم في إحداث التنوع ، والوفرة الموجودة في المجتمع ..

إن المجتمعات الإسلامية ، شانها شان كل التجمعات الإجتماعية تعيش تغيّرات إجتماعية متسارعة .. وكسائر العالم المعاصر ، فإن التغير المرتبط بعصر الصناعة ، والتكنولوجية المتطورة قد أحدث تخبطاً ، وتازماً ثقافيًا ، وإجتماعياً في حياة الأفراد ،

والمجتمع .. فهذه المجتمعات الإسلامية في مصر ، وتركيا والجزيرة العربية وإيران وأواسط آسيا ، وفي شمال أفريقيا ووسطها ، بل وفي أسيا كلها – وهي تترك عنعناتها وآعرافها المتوارثة القديمة ، لم تتمكن بعد من إحلال الجديد المتأصل مكانها ، وحتي الجديد الذي أقرته ، أو ذلك الذي تريد أن تقرة ، لما كانت حتي الآن لم تُؤمن له التوائم الكافي مع عاداتها ، وقيمها ، ومعتقداتها ، فهي تعيش حالة من التخبط .. تعيش حالة من الدهشة .. ولا تعرف ماذا تفعل .. مما يجعلها جميعاً تعيش مرحلة الحيرة .. مرحلة الثنائية المحيرة ..

إن التغير السريع الذي أحدثته الثقافة المادية ، والتكنولوجية في حياة المجتمعات اليومية ، قد أحدث بدورة تغييرات ثقافية ، وإجتماعية بشكل موازي . إن الإنسان – في كل العصور – في حاجة ماسة إلي خلق علاقات وطيدة مع البيئة التي يعيش فيها، وتأسيس روابط ، وإتصالات مع المجتمع الذي يحياه ، وأن يفرض وجوده علي الذين يحيطون به ، وحاجته إلي مشاركتهم إياه في المشاعر ، والأنشطة لا تقل عن حاجتهم إليه .. فالإحتياج متبادل .. والرغبة متشاركة ولهذا السبب ، وَجب الإكثار من هذه المشاركة ، وتزكيتها بين جميع أفراد المجتمع ، وما يخلق التوائم ، والتناغم في هذه المشاركة هو التعليم .. إن إرتفاع نسبة الأمهات اللا ئي خرجن للعمل خارج منازلهن، قد ترك بصماته الواضحة علي تعليم ، وتعلم الطفل منذ المهد فإن هذا الدور برمته من المهد ، والحضانة وحتي الجامعة مروراً بالمراحل الأولية ، والمتوسطة ، والثانوية قد تُرِك بالكامل تقريباً للمؤسسات التعليمية .. لقد حد هذا الخروج من الدور التربوي ، والتعليمي للإمهات وأصبح التعليم داخل الأسرة محدوداً ..

* * *

بالرغم من كل ماسبقت الإشارة إليه ، فعلي الاسرة ان تُعلم طفلها حب بيته وعائلته ... وأن تقنعه أنه لن يجد راحته وأمانه إلا في بيته ، وسعادته في العائلة .. يجب أن يشتاق الطفل إلي بيته وذويه بإبعادة في زيارات قصيرة متقطعة ، يجب أن يحب الطفل امه ، وأن يثق بها .. وأن يلمس أن أُمه ، والآخرين يحبونه لذاته ، وكما أنه يتحدث عن الإيجابيات التي قام بها يجب أن يتعلم كيف يجد في نفسه الشجاعة لكي يعترف بالأخطاء التي إرتكبها .. يجب أن تتحقق الوعود التي تُعطي للطفل ، او تُبرر له الأسباب التي أدت إلي عدم الوفاء بها .. يجب أن يُكلف . ويحمل ببعض المسئوليات التي يُسأل عنها .. وبها يُشْعَر بمدي حاجة العائلة إليه وإحتياجها لخدماته دون إفراط في ذلك ..

يجب ألاَّ يغيب عن ذهن العائلة أن النصح المباشر لا يجدي ، وأن الأفضل توصيل الحقائق التي يُراد توصيلها إليه عن طريق الحوار ، والمصاحبة مع الام ، والاب ..

إن محادثة الطفل ، ومصاحبته بشكل مباشر تكسبه الشخصية السوية ، ويمكن بهذا الشكل مشاركته في مناقشة ميزانية الأسرة ، ووضعها المالي .. فإن كانت ميسرة .. فلابد أن يتم إقناعة بأن الإعتدال في الصرف من مصلحة الوطن ، والامة ، وأن الإسراف فيه مضرة للذات والمجتمع .. وإن كانت الاسرة فقيرة ، فيجب الا يري في هذا عيباً .. وأن هناك مَنْ هم أفقر منه .. وانهم لا يخجلون من ذلك .. وأن العمل الجماعي .. وبالتصرفات الملتزمة يمكن تغيير الوضع المادي إلي الأفضل .. وأن يكون كل ذلك داخل إطار من الحب .. والبشاشة .. والصدق .. وفقاً لعاداتنا ، وتقاليدنا في المجتمعات الشرقية ، فإن الاب هو رئيس العائلة . ولكن يجب ألاَّ يتبادر إلي الذهن أن معني ذلك هو التسلط علي الأسرة .. وعلي الطفل هو ، وأفراد العائلة ، أن يشعروا بمكانة الاب وسط العائلة من تصرفاته ، وحنانه ، وإحتواءة لكل أفرادها .. ويجب أن يتعلم الطفل أن طاعة الاب ، وحبه ، وإحترامه لا تتولد بالخوف ، بل من العطف ، والحب ، والحنان، والإحتواء ..

يجب أن يكون صديقاً ، ورفيقاً لاطفاله ، وأن يوصل إليهم بعض الحقائق عن

طريق اللعب معهم ، أو تلعيبهم .. وبهذا الشكل يتشكل وجدانه تجاه الأب ، وتزداد ثقته به ، وأن يشعر بالأبوة بالعطف ، والشفقة ، والحماية التي يَشمله بها والده .. علي الأب، بدوره ، إذا لزم الأمر أن يتحدث إلي طفله كإنسان ناضج ، وأن يسمع منه، ويصغى إليه ، ويهتم بوجهة نظره ..

يجب الايسعي أحد في الأسرة إلي تحطيم شخصية الطفل بالتصرفات المسيئة ، أو الكلمات القاسية – بل يجب إشعاره ، وإكسابه المشاعر التي تغذي فيه كونه شخصية لها كيانها في الأسرة كما يجب ألا تُعالج أخطاء الطفل ، وشقاواته ، ودلعه بالضرب ، أو السب ، أو معايرته برفاقه الآخرين ، أو مقارنته بإخوته فإن ذلك يولد في داخله مشاعر سلبية ، بل أن يكون علاج النقص باللين ، والتفاهم ، وإذا لزم الأمر ، بالشدة الملتزمة بحدود الأبوة ، ومراعاة البعد النفسى للطفل ، والبعد تماماً عن الإسراف في الشدة والقسوة ..

يجب علي الأم ، والأب أن يبتعدا تماماً عن إستخدام السباب أو الكلام السوقي أو العامى الدوني أمام الأطفال .

كما يجب عليهما ألا يناقشا أي مشاكل قد تنشيء فيما بينهما بصوت عالٍ ، فيه حدة ، وخروج عن المألوف أمام الأطفال ، كما يجب ألا يدخلا في شجار ، أو نزاع مع كبار العائلة أمامهم .. وألا يغيب عنهم ، أن ما يراه الطفل بعينيه ، ينطبع في ذاكرته، وربما يتصرف بنفس الشكل مع والديه بعد أن يشب عن الطوق ..

علي الأم ، وخاصة الأب كذلك ، ان يبتعد كل البعدعن التصرفات التي من شأنها أن تهز مكانتيهما في أعين الأبناء ، وألا يقوما بما لا يحبا أن يعتادة الأطفال كالخمر ، والقمار ، بل يجب ألا يتلفظا بما يوحى بهذه العادات السيئة أمامهم .. بل إن تكليف الطفل بشراء الممنوعات ، أو المحرمات ، أو حتي المكروهات ، وخداعه بالقول ، أو العمل ربما يدفعه إلي الإعتياد علي عادات يصعب تخلصه منها .. إن المزياع المرئي = التلفاز ، والفيديو ، والدّش ، والإنترنت قد أصبحت أطياف ، بل ضيوف ثقلاء يقتحمون علي الأسرة غرف نومها ، ومن هنا ، علي الوالدين أن يراعيا ذلك ، وان يمتنعا هما أيضاً عن مشاهدة البرامج ، والأفلام التي لها أبعاد تخل بالبناء الأسري

والروحي للأبناء وأن يلزما أنفسهما بذلك .. فحماية الأبناء من هذه الهجمات الشرسة ، والغزو الفكري ، والثقافي يجب أن تعلو فوق كل أهواء أو نزعات .. وعبارات مثل .. أنا .. أو نحن نشاهد هذا .. ونم أنت .. فما زلت طفلاً فمثل هذه الأقوال تزيد من تحريك فضول الإبن ، وتدفعه إلي الثورة والعصيان .. وبنفس القدر من الأهمية ، والعناية يجب حماية الأبناء من الصحافة الماجنة ، والكتب الخليعة ، وألا يسمح بإدخالها إلي المنزل لما يمكن أن تسببه من خلل نفسي لدي الأبناء .

ماضينا التليد ، وتراثنا الأصيل .. والبعيد عن الزيف الدخيل يُسطرلنا أن الأبناء كانوا يشبون علي حب العم ، والعمة والخال ، والخالة ، وخاصة الجدة .. والجد .. يشبون فوق بساط من الحب والعطف ، والتراحم .. أما الظروف الأقتصادية الراهنة ، فرضت إنتشار وسيادة نموذج "الأسرة النواة" أي الأسرة الصغيرة . فهي عبارة عن الأب ، والام ، والإبن ، والإبنه فقط .. تحديد النسل .. تنظيم الأسرة .. الأسرة المُثلي .. الأسرة النموذج .. كلها مسميات بدأت تطفو علي السطح .. وتطلب لتحقيق ذلك، بُعد الطفل عَمنْ يحب .. رغم هذا .. يجب ان تُبذل الجهود لعدم إتساع الفجوة وأن تُبذل الهمم لكي تظل العلاقة بين الطفل ، وجده ، وجدته لكلا الأبوين حيَّة ونشطة في الذاكرة .. فهذه الأمور ، في غاية الأهمية من ناحية الصحة النفسية ، والروحية للطفل .. خاصة لو كان الطفل يعيش معهم ، أو بالقرب منهم ، يجب أن يعرفهم ، ويتعامل معهم كاصدقاء يستحقون الحب ، والإحترام ، ويعتبرهم من الشخصيات التي يجب أن تصغي الأسرة لنصائحهم ، وتُسمع كلماتهم .. يجب ألأ يتأت إلي ذهن الأبناء ، أن الجدات ، والجدود شيء زائد ، بل يجب أن يستشعروا أهميتهم، ووجودهم الفعال في كيان الأسرة الكبيرة .. لقد إتفق التربويون علي أن تعليم الطفل "الوحيد" في الأسرة ، أمر صعب من وجهة النظر التعليمية ..

وعلي الأسرة التي لها أكثر من طفل ألا تقوم بأي تصرفات ينتج عنها أي نوع من التمايز ، أو التفرقة بين الأخوة .. إلأ فيما يدعم التعاطف فيما بينهم ؛ كمرض أحدهم ، أو غيابه .. أو صغر سنه بشكل واضح .

يجب مراعاة المساواة في التصرفات اليومية بين الأخوة ، مثلما يتم المساواة في الهدايا ، والتعليم ، وحتي الميراث وكل ما يتعلق بالأخوة ، لابد من مراعاة المساواة ،

والتساوي فيما بينهم .. كما يجب مراعاة المساواة فيما بينهم في أمر ميزانية الأسرة ، يجب ألا تُساعد الأسرة في أي أمر يساعد علي التنافر ، أو الغيرة فيما بين الأخوة .. وإذا ما بدت بوادر الغيرة بين الأخ ، وأخيه الذي تلاه ، فيجب السعي لتحويل الغيرة إلي حب ، وعطف ..

يجب أن ينال الإبن المجد في الدراسة أو الحاصل علي جوائز ما يستحقه من التكريم، والمكافئة – ولكن بشرط ألاَّ يمثل ذلك نظرة متعالية عن الإبن الآخر ، أو التقليل من قدراته بسبب إخفاقه الدراسي ، بل يجب البحث بعناية عن أسباب هذا الإخفاق ، ومحاولة تلافيها ..

يجب أن يتعلم الصغار ، إلي جانب حب إخوتهم الكبار ، يجب أن يتعلموا كيفية إحترامهم .. وعلي الكبار حب إخوتهم الصغار ، ورعايتهم ، ومراقبة سير تطورهم ، وأن يفهم الكبار أن هذا ضمن مسئولياتهم ..

إن الهدف الأساسى هو إستمرار الأسرة ، وعدم إنفصال الزوجين ، ولكن علي الوالدين المنفصلين التصرف بدقة ، وحرص ، وعناية تجاة أبناءهما .. وعليهما ألاَّ يستخدما الأبناء ضد بعضهما . وألاَّ يحرض أحدهما أحد الأبناء ضد الطرف الآخر .. بل يجب التصرف حيال الأبناء وفقاً للأحكام التي تكون قد صدرت بشأن هذا الإنفصال .. وأن ينطلق كل طرف من أرضية فيها إحترام للطرف الآخر ، أمام الأبناء ، وأن يشعر الأبناء ، وأنهما رغم الإنفصال فيما بينهما ، إلا أن العلاقة ، بينهما قائمة علي الإحترام المتبادل .

* * *

التعليـــم المدرســـي

إن المدرسة في حياة أطفال ، وشباب اليوم لا تمثل مؤسسة تلقي التعليم فقط ، بل هي أكثر من ذلك ، فهي المكان الذي تتشكل فيه شخصيته إلي حد كبير .. ولهذا السبب ، فإن تصرفات الصبية ، والشباب في التعليم ، بقدر أهميتها تمثل تصرفات المدرسين قدوة لهم .. فإلي جانب علم المدرس لابد من توافير قوة الشخصية .. وهي بدورها تُساعد علي إبراز القدوة ، التي تمثل نقطة إرتكاز خطيرة في العملية التعليمية ..

سن الدراسة :

إن مرحلة بدأ الدراسة ، وبلوغ سن دخول المدرسة تمثل نقطة إنطلاق مهمة في حياة الطفل ، فالطفل ، منذ اللحظة التي يبدأ فيها التوجه إلي المدرسة ، يكون قد بدأ فى التعرف علي محيط جديد عليه ، بعيد عن محيط الأسرة ، والبيت .. محيط غريب عليه ، ولكنه سيبدأ الإتصال به .. إن المدرسة الإبتدائية ، بالنسبة للطفل ، حتي وإن كان قد إكتسب خبرة تعليمية من الحضانه ، ستكون أول مؤسسة تعليمة تمنح الطفل قدراً من التعليم ، بعيداً عن اللعب ، فالطفل في هذه المرحلة خارج نطاق اللعب – سيتعلم نظام تلقي التعليم المنظم ، وسيضطر منذ هذه السنوات المبكرة إلي الدراسة المنظمة ، بعيداً عن اللعب ، والنوم ، و الكسل... كانت مجتمعاتنا الإسلامية تبذل جهوداً ، وأنشطة محمودة لإعلام المحيط الذى يعيش فيه الطفل ببداية المرحلة التعليمية .. تقام الليالي الدينية ، والولائم للفقراء ، والمساكين بهذه المناسبة .. أو يُدعي أحد المنشدين الدينين لإحياء هذه الليلة .. وإذا كانت العائلة علي صلة بإحدى الطرق الصوفية ، فقد كانت تُقيم ليلة للذكر والماحية = "الْمحَيْيَة" . وتحرص بعض العائلات بزيارة أضرحة بعض علماء الدين ، أو الصحابة ، وآل البيت ، ومعهم الطفل ، وكأنهم يتوسلون ، أو يتأسون بهم .. أو يتمنون لهم هذا النهج الصالح . ففي إيران تُزار أضرخه الأئمة .. وتحرص العائلات علي زيارة مدينة مشهد ، وفي العراق تُزار العتبات المقدسة في النجف وكربلاء ، وفي سوريا تزور العائلات المسجد الأموي ، وضريح السيدة زينب ، وفى أستانبول يحرص

الجميع علي زيارة جامع أبي أيوب الأنصاري "أيوب سلطان " وحاجي بايرام ولى وفي مدن مصر يزور الأهالي المشايخ ، وأضرحة الأولياء ، وآل البيت ، يقرأون الفاتحة .. ويتوجهون بالدعاء أن يفتح الله علي طفلهم ، ويسهل له طرق العلم والنجاح . بل يكثر الأهالي من أطلاق إسم الولى ، أو صاحب الضريح علي الإبن ، أو الإبنة .

يتم تلقين الأطفال الذين سيبدأون الدراسة الابتدائية ، بعض المسئوليات التي تُشعرهم أنهم كبروا ، وأن النجاح شيء عظيم .. وتُحبب إلي نفوسهم بعض العلوم ، والمهن ، ويُطلب منهم أن تكون تصرفاتهم تليق بأهل العلم ، والتعليم .. كل هذا يتم بطريقة محببة إلي النفس .. وبطريق القدوة الحسنة .. ولو أسرفت العائلة في الترغيب ، أو الترهيب لربما كانت النتائج عكسية لدي الصبي ...

إن زيارة كبار العائلة كالجد ، أو الجدة ، أو العمة ، أو الخالة ، والذين يقدمون للصبية هدية بهذه المناسبة لمن الأمور ذات المردود النفسي علي الطفل في مستقبل حياته ، ويمكن أن تكون هذه التصرفات مما يدفعه إلي التفوق .

إن منح الطفل مصروف نقدي في هذه المرحلة ، وترك الحرية المطلقة له – بعد أسداء بعض النصح – في شراء ما يريد أو التصرف بمصروفه كيفما يشاء هو لمن الأمور المطلوبة في هذا السن المبكرة .. فتعليمه كيفية التعامل مع الآخر ، وكيفية التصرف مع أقرانه ، وتُظهر مشترياته عن نوع تفكيره ، وهواياته المبكرة ..

أما تلميذ المدارس المتوسطة ، والثانوية .. وطالب الجامعة لابد أن توضح لهم – كل حسب مرحلته العمرية – المسئوليات الجديدة .. والإمتيازات المتاحة له .. والمستقبل المشرق الذي ينتظره .. لو هو صرف النظر عن اللهو ، واللعب فى أوقات الدراسة ، وقام بواجباته خير قيام .. ولو أمكنه التوفيق بين هواياته ، ودراسته لأصبح من المرموقين .. يجب إشعاره بشكل جميل ، وغير خطابي ، أو مباشر بأن العلوم التي يتلقاها توسع من مداركه .. وتزيد من فهمه لمجريات الحياة ، تُعلي من قدره فى محيطه ، وترفع من مستوياته الإجتماعية ، والفكرية . وأن يُكافيء علي نجاحه ، وتفوقه .. وتُحلل أسباب رسوبه ، وعوامل تخلفه الدراسي بشكل عقلاني ... كل هذه الأمور تدفع بالصبية والشباب إلي النضج، والتفوق في الحياة الدراسية ، والحياة

العامة ، وتدفعه إلي الإقبال علي المراحل الجديدة من دراسته بشوق ، ورغبة أكيدة في النجاح . .

إذا كانت هذه الأمور تتم في محيط الأسرة ، والمدرسة معاً فعلى المدرسة أن تُحيي المناسبات القومية ، وتُنشطها في ذاكرة الصبية ، والشباب . . فالأعياد القومية ، والإحتفال بها ، وأيام النصر ، وذكرياتها . . يجب أن يكون لها برنامج ، ورصيد في النشاط الإجتماعي ، والثقافي في المؤسسة التعليمية ، كل حسب المستوي الذي تُخاطبه . . إن هذه الأنشطة ، لو تمت بشكل علمي ، وتربوي ، وترفيهي مدروس لأصبح لها مردود علي المستوي الشخصي ، والقومي لا يمكن إغفاله . . ولابد من أن يكون للصبية ، والشباب دور فيها ، والمشاركة في تحمل مسئولياتها .

– ويمكن ترتيب التصرفات الجميلة ، واللائقة ؛ والتي يجب أن يكون الصبية والشباب هم رصيدها ، والقائمون بها :

- احترام المدرس :

إن الصبية الذين تعلموا كيف يحترمون الكبار ، يكون من السهل تعلمهم كيفية إحترام المدرس . فالمعلمون ، والمدرسون ، شخصيات تليق بالإحترام ، وتستحقه ؛ فهم الذين يغذون الأطفال ، والشباب بالمعارف ، وما يستجد فيها ، وهم الذين يكملون نقائص الجيل ويقومونهم . . فإحترام المدرس وتوقيرة من المهام الملقاة علي عاتق الأسرة، فهم الذين يلقنون الأبناء خلال مصاحباتهم ما يجب أن يفعلوه تجاه المعلم ؛(قم للمعلم وفه التبجيلا . . كاد المعلم أن يكون رسولاً) وعلي المعلمين ، منذ دخول الصبية أبواب المدرسة ، أن تنم تصرفاتهم ، وتحركاتهم عن أنهم يستحقون الإحترام ، لابد أن يلتصقوا بتلاميذهم ، وطلابهم ، ويحرصوا علي أن يكتسبوا ثقتهم . . لا تخويف ، ولا إرهاب في التعليم ، والتعلم . بل هناك شجاعة أدبية يجب أن يحرص المعلم علي تلقينها لأبناءه التلاميذ ، أو الطلاب . . وأن يصبر عليهم، ويحبهم "فبالحب ، والصبر يلين الحجر . . أو يحلوُّ الحَصْرم " فبالحب ، والصبر علي الأطفال يتولد الإحترام ، والحب المتبادل ، وتزول الجفوة ، وينطبق عليهم ؛ **﴿ من علمني حرفاً صرت له عبداً ﴾** . .

- التحية :

علي الصغار أن يحيوا الكبار دائماً ، علي هذا المبدأ يجب أ يكبر الصغار ، وأن يحيوا معلميهم سواء في داخل المدرسة أو خارجها . .وأن تكون هذه التحية بالشكل اللائق ، وأن يحني التلميذ هامته لأستاذه حيثما وجده . . .

- إفساح الطريق ، وإخلاء المكان :

لابد من إفساح الطريق أمام المعلم ، وأن يُخلي له المكان سواء داخل المدرسة ، أو خارجها مع أداء التحية الواجبة . وفي وسائل النقل العام ، إذا كان الذوق العام يتطلب إخلاء المكان ، وتركه للكبار ، فهذا واجب إجتماعي للمعلم " قُم للمعلم " ويُعتبر ذلك تصرفاً ظريفاً ، وينم عن إحترام جم . . فهؤلاء الصبية ، والشباب سيكونون كباراً في يوم ما . .

- التصرف في الأماكن المشتركة :

علي التلاميذ ، والطلاب أن يتصرفوا بشكل لائق في الاماكن المشتركة في المدرسة كالحوش = الفناء ، والسلالم ، والممرات ، والملعب ، وألاَّ يتدافعوا علي الأبواب ، أو في الحديقة ، وألا تتسبب تصرفاتهم في أي ضرر لأي طرف آخر . . وألاَّ ياتي باي تصرف لا يحب أن يقوم الآخر به تجاهه . . وألاَّ يتجاوز دوره عند الشراء من المقصف ، أو الدخول إلي الصف ، وأن يتم التنبيه بشكل لطيف ، لمن يتجاوز الحدود في تصرفاته . . وعلي الجميع ألاَّ ينسي أن التدافع ، والتزاحم والتنافر في الشراء هو الذي يؤخر الشراء، أو يجعله ناقصاً .

- القيام للمعلم :

إذا كان على الصغار ان يقوموا ، ويقفوا للكبار عند دخولهم في نطاق إجتماعات الأسرة ، ويقدموا لهم التحية الواجبة . . فمن الأولي أن يقوم لمعلمه عند تحيته ويوفيه التبجيلا . . وأن ينهض الجميع عند دخول المعلم إلي الفصل . . وعلي المعلم أن يلفت إنتباه التلميذ الذي ينشغل عن الدرس . . .

- **حمايـة المال العام** :

إن كل الوسائل ، والوسائط التعليمية ، والفصول ، وما فيها من أثاث ، وتجهيزات هي مـال عـام ، يخص كل الأجيـال ، وتنتـقل من جـيل إلي جـيل ، ومن هنا يجب الحـفاظ علي المـال المشـترك ، كـمـا لو كـان ملكنا الخـاص .. تُحافظ علي نظافتـه ، وسلامته ، وأن نتركه سليماً ، ونظيفاً كما وجدناه .. ومن اللازم ، والواجب علي التلاميذ أن يتعاملوا مع وسائل النقل العام كالحافلات ، والقطارات ، والسفن ، وما شابه ذلك ، بنفس العناية الواجبة حيال أموالهم الخاصة ، ويعتبرون ذلك ضمن واجباتهم ..

- **الإلـتزام** :

يجب علي كل إنسان أن يكون ملتزم في تصرفاته ، وحتي الأثرياء المفروض عليهم دائماً ألا يسرفوا ، ولا يقتروا .. فالإسلام يحرم الإسراف ، والتقطير في نفس الوقت .. وخاصة في مجتمعات الشرق المتخلفة .. يجب أن يتعلم الصغار أن الإسراف يضر بالتنمية ، وأن الإلتزام بالوسطية أمر هام .. وأن يتعودوا علي صرف مصروفهم اليومي، وفق نظام ، وترتيب معيّن .. بل يجب ألاّ يسرفوا في إستهلاك أدواتهم المدرسية كالاقلام ، وألوان الرسم ، والممحاة وغيرها من أدوات ، وألاّ يتفاخر بالإسراف في إستخدامها .. وأن عَليه أن يحافظ عليها سواء في المدرسة ، أو المنزل .. فأطفال اليوم هم رجال الغد ، وعليهم أن يتعودوا علي الإلتزام بما هو متاح لهم .. ولو تعودوا علي الإقتصاد في صرفهم ، وإستهلاك أدواتهم لإعتادوا ذلك ، وطبقوة في حياتهم .. وإذا ما عرفوا قيمة الموجود في حوزتهم ، لعرفوا كذلك كيف يحافظوا عليه .. فما زالت مجتمعاتنا تُعاني الفقر .. وفي حاجة إلي التنمية .. وأن الكثير من أطفالنا قد تركوا التعليم بسبب الفقر .. ولو تعلمنا كيف نقتصد منذ الصغر ، لأدركنا كيف نستفيد مما ندخره ، وكيف نجعله ينعكس علي الآخرين .. وما نُسرف في تبديده هو من حق هؤلاء الفقراء .

- **تناول الطعام** :

تشتمل المدرسة الواحدة ، علي مستويات مختلفة من التلاميذ، والطلاب ..

وليس من اللائق على الإطلاق أن يصطحب الأطفال الأغنياء طعاماً غالياً إلي المدرسة. وأن يتباهوا به أمام الآخرين . .إن تراثنا الإسلامي يُعطي للجار حقاً في الطعام الذي تفوح منه الرائحة . . وعلي رب الدار أن يخفى ما يشتريه إلي منزله من ماكولات ، أو أن يُعطي منها . . . يجب أن توضح هذه الأمور للطفل بشكل مبسط ، وأن نساعده علي أن يسلك علي منوال ذلك في المدرسة .

يجب أن يتعلم الأطفال ، ويعتادوا علي عدم الشراء من الباعة المتجولون في الشوارع ، وحول مدارسهم . . ويُنْصَحوا بالإستعانة ، ويفضلوا ما هو موجود في مقصف المدرسة . لما في ذلك من حفاظ علي صحتهم ، ونظافة البيئة المحيطة بالمدرسة.

- اعتياد القراءة :

إن براعم اليوم ،هم ورود ، وثمار الغد . . بقدر ما تكون البراعم عفية ، تكون الورود ذكية ، والثمار ناضحة شهية . ولكي يكون أشبال اليوم علي أهبة الإستعداد لإستقبال الغد يجب أن يعرفوا البيئة التى يعيشون فيها . . والمحيط الذي يلفهم ، والمجتمع الذي يحتويهم ، والعالم الذي يعيشونه . . ولن يتمكنوا من كل ذلك إلا بالقراءة فالقراءة هي جوهر الإنسان . . هي نواته وقشرته . . هي باطنه وظاهرة . . ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ ﴾ ﴿ . . نَ وَالْقَلَمِ . . ﴾ ولا يتبادر إلي الذهن أن المطلوب هنا هو التعليم المنظم ، والمقسم إلي مراحل – ليس المطلوب هنا هو أستكمال التعليم بأي شكل من الأشكال . . فتراثنا القديم مبني علي كثير من القيم المبنية علي الإقتناع بأنه بقدر معرفتك لنفسك ، وللمحيط الذي تعيشة يكون إقترابك من الغاية التي خُلقت من أجلها (أسأل مجرب ولا تسأل طبيب . .) فالقراءة هي التي تُطلعنا علي تجارب ، ومعارف الآخرين . . هي التي تُفجر فينا منابع الإبداع . . هي التي تُلبسنا حُلْيَة الثقافة . . ﴿ هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون ﴾ فالفرق بيِّن ، والبون ، والقراة هم أقصر الطرق للعلم والمعرفه . .

إن التعليم يتم حين نبلغ سن التعليم . . ولكن القراءة تأتي بالتعود . القراءة ليست

لها مرحلة عمرية محددة . ومن الممكن أن يعتادها الطفل منذ المراحل التعليمية المتوسطة ، بل يجب أن تُغرس فيه منذ المرحلة الإبتدائية .. ومن هنا ؛ فإن أهم عادة ، أو لنقل هواية ، يمكن أن يُكْسِبَها المعلم لطلابه هي ﴿ عادة القراءة ﴾ .. إن هذا أفضل من التلقين ..

أُول ما أنزل علي نبينا الأمين ، ﷺ ، كان الأمر والتكليف بالقراءة .. هذا أمر معروف .. وسبقنا به كل الأمم .. ولكن لا تتوقف القراءة مع الإنتهاء من مراحل التعلم ، بل هي تبدأ بهذه النهاية .. وحبذا ، لو سارا معاً .. فالمؤسسة التعليمية التي تُعلم العلم ، وتُكسب المتعلم حب القراءة ، والتعود عليها ، هي بكل المقاييس مؤسسة ناجحة ، وأمِّنت لخريجيها إستمرارية التعليم ..

القراءة هي التجديد ، وكلما جدَّد الإنسان فى حياته إكتسب التنوع ، وبلغ المراد ، ووصل إلي ماخلف السطور .. لو إعتدناها لعرفنا كيف نستفيد من الوقت المتاح لنا ، ونُقيِّمه .. لأصبحت لدينا القدرة علي الإستفادة من الوقت المتاح لنا في رحلة قطار، أو حافلة ، طالت أو قصرت الرحلة ؛ فمطالعة كتاب ، أو مجلة أو جريدة .. أو مطوية خلال هذه الرحلة .. ألا تخلصنا من الأفكار المادية ، أو المعنوية التي تزلزل كيان النفس .. الا تُنقذه من الأوهام ، والوساوس ، والتخيلات التي لا طائل من وراءها .. ألم نتعلم أن الكتاب أوفى صديق .. وأعز رفيق ..

- نمط الحديث والمحادثة :

يجب أن يعتاد الطلاب علي التحدث بلغة جميلة ، وسليمة ، وأن يدركوا أن من أكبر نقائص المثقفين ، أن يتحدثوا باللغة العامية الدارجة.. وأن يراعي النطق السليم ، فالنطق الخاطيء تتولد منه معاني خاطئة .. ومفاهيم مغلوطة .. يجب أن تُدرك البراعيم قواعد محادثة الكبار .. ونمط مخاطبة الأم ، والأب ، والجد ، والجدة ، والخال، والخالة ، والعم والعمة .. فلا يجوز الصياح أمامهم .. والا تغيب صيغ الإحترام ، والتبجيل عند التحدث معهم ، أو إليهم .. لابد أن تتعلم البراعم لغة التخاطب ، والحوار ، فهم تلاميذ اليوم ، ومثقفوا الغد .. يجب أن يتعلموا متي يعتذروا .. ولِمَنْ يقدموا الشكر .. وما هى دواعى الشكر ، ومتطلبات الإعتذار ..

وجمال التعبير.. وألا يتعود وا.. في الفصول الدراسية علي إستخدام الكلمات السوقية ، أو العامية الفجة ، وألا يُسمح لهم بذلك .. بل يجب ألا يغيب عن بالهم أن ذلك يفسد الذوق وأن حسن الأداء ، وجمال الخطابة ، يَفْتح أمامهم طرق الرقي ، والتقدم ، ويصلوا إلي الدرر الثمينة في لغاتهم .. وحتي باللغة الجميلة يمكنه أن يحكي طرائف جميلة .. وقصص عجيبة .

- المساعدة والتعاون :

﴿ **وتعاونوا علي البر والتقوي .. ولا تعاونوا ...** ﴾ يجب ان يدرك البراعم ، والطلاب أنهم يكملون بعضهم بعضاً ، وأن يعاونوا بعضهم ، في استكمال نقص ، يكون قد فات أحدهم . يجب أن يعتادوا علي العمل الجماعي .. وتُنمي فيهم روح الفريق .. فالتعاون ، والإشتراك ، والمشاركة كلها قيم تجعل الحياة تسير في هدوء ، وسكينة ، وتناغم . فمحيط الهدوء والسكينة ، والآمان يولد التفوق .. ويدعم النجاح ، ولا يخل بالمنافسة الشريفة .. يجب أن يتعلم البراعم ، والشباب أصول العون المادي ، بدون منّه ، أو تفاخر .. وأن يبحثوا عن سبل تقديم العون المادي إلي مَنْ هم أقل في المستوي المادي دون إيذاء « **..كلمة طيبة .. خير من صدقة يتبعها أذى..** » أو منّه .. أن تسود التمنيات بالنجاح ، والتفوق للجميع دون الإخلال بالحقوق ، أو شروط التنافس الشريف .. وألا يبخل أحدهم علي الآخر بما تعلم ، أو فهم .. بل يجب أن يتنافسوا في مساعدة المتعثر .. أو المتغيب بعذر مقبول لهم .. وأن يتسابقوا في السؤال عن الغائب ، وأن يعودوا المريض منهم .. ويكملوا ما فاتهم بروح الود والتعاون .

- الغش ؛ والبرشام :

إن الغش ؛ والبرشام في الإمتحانات التحريرية أمر غير مستحب ، وأمر مرفوض شكلاً ، وموضوعاً .. « **فمن غشنا فليس منا** » فالإمتحان ما هو إلا وسيلة لقياس مدي التحصيل لدي التلميذ ، أو الطالب في الموضوعات المطالب بها ، والمسئوول عنها .. وعلي الطالب بمساعدة معلمه ، وإستكمال النقص الذي يتبين له بعد عملية الإختبار.. وتصحيح الأخطاء بعد تحليلها . ربما يساعد الغش ، والبرشام علي الإنتقال من صف الي آخر ، ولكن ذلك لا يؤمن النجاح بشكل متوالي ، أو مستمر .. وعلي

الأسرة أن تغرس في الأبناء رفض هذا النمط من السلوك ، بل ومقاومته لدي الآخر ، لما فيه من ضرر لهم ، وأعتداء علي حق الغير من قبل من يرتكبه ، وإذا ما قُدِّر لمثل هذا الغشاش أن ينطلق إلي الحياة العامة ، فلن يكون إنساناً سوياً ، بل غشاشاً ، ومدلساً ، بل ومرتشياً .. إن إغتصب منذ الصغر حقاً ليس له .. فإذا ماكَبُرَ علي هذا السلوك فلن يكون غير ذلك ، والأخطر إذا كانت فتاة .. فلن تكون أمينة علي شرفها، ولن تكون أمينة علي أطفالها في المستقبل .. فعلي البيت ، والمدرسة أن ينظرا إلي عملية الغش ، والبرشمة إلي ماهو أبعد من اللحظة الحالية .. فمن شَبَّ علي شيء شاب عليه ...

- تصرفات المعلمين :

إن إحتقار المدرسون ،ومجازاتهم للطلاب الذين تعثروا في سنوات الدراسة تصرف خاطيء تماماً .. فالعقاب في مثل هذه الظروف يؤدي إلي نتائج عكسية ، بل عليهم رصد أخطاء التلميذ ، أو الطالب المتعثر ، ومساعدته في إستكمال النقص الذي يعاني منه ، أو الخطأ الذي يتكرر الوقوع فيه .. فالتعليم بالصبر ، والمثابرة تستقيم قواعده .. وتؤتي ثماره ، ونتائجه .. الغضب والحدة ، والشدة كلها عوامل تفصم عرى الصلة . ، المودة بين المعلم والمتعلم ... وإذا مافُصمت الصلة ، وقطعت العلاقة ، فلا تتم التربية ، ولا يتحصل التعليم ..

إن التعليم ، والتعلم يتحقق فيما بين الطلاب الذين هم في وضع المتلقي ، عن طريق كادر المعلمين ، في الموسسات التعليمية ، ويجب أن تكون الموسسات التعليمية مجهزة بالمباني ، والأجهزة التي تتلائم مع أغراضها ، وبالمعدات ، والوسائل ، والوسائط التي تسهل علي المتلقي مهامه .. وأن يكون المعلم مؤهلاً ، وفقاً للمرحلة التي يقوم بالتدريس فيها .. ولا يجب أن تُغفل العوامل المساعدة كالإدارة ، والملاعب، والمعامل ، والحدائق ..

يجب البعد تماماً عن العيوب الخَلْقية ، والخُلُقية فيمن يقوم بالعملية التعليمية ، فإلي جانب الصحة البدنية ، فإن الصحة النفسية ، والروحية مهمة للغاية .. وبنفس القدر من الأهمية يجب توجيه المتعلم – وفقاً لإمكاناته وقدراته – إلي الرياضات

البدنية والفنون الجميلة ، وتنمية النباتات ، ورعايتها ، ومتابعتها في التربة الزراعية ، وتغذية الطيور ، والحيوانات المستأنسة ... أي كيفية رعاية الثروة الداجنة ، والحيوانية ، والأسماك ... هذا ، جنباً إلي جنب مع تنمية القدرات الفنية في المجالات المختلفة كالخطابة ، والإذاعة ، والصحافه المدرسية ، والتمثيل ، وجماعات الشعر ، والقصة ، والمقال ، وتنمية القدرات الإبداعية لدي التلاميذ ، والطلبة ورعايتها طوال المراحل التعليمية .. ويجب ألاَّ يغيب عن ذهن الأسرة ، والمؤسسة التعليمية معاً ؛ أن التفوق في هذه الأنشطة يجب ألا يكون علي حساب الدراسة ، بل تؤدي إلي التفوق فيها ، ولمتابعة هذا التفوق لابد من الموائمة بين الهواية ، والدراسة .

إن حب القراءة والتعود عليها .. يمكن تدعيمهما بدفع التميذ ، أو الطالب ، وتشويقه للقيام بالأبحاث في المجالات التي يحبها ويهواها .. هذا الدفع ، أو التشويق الذي يمكن أن يبدأ بتقديم المراجع المتاحة ، أو التوصية بها لابد وأن يُؤتي ثماره الطيبة بالإرشاد ، والمتابعة ، ومراجعة المزيد من الكتب ، والمراجع التي تخدم الموضوع .. وكما أن متابعة الرياضة تُساعد في تنشئة البطل .. فالريادة العلمية تُساعد في خلق الباحث المخترع ، والفنان المبدع ، والناقد المنصف .

- الزي والملابس :

إن الزي يعكس الشخصية الحقيقة للإنسان ، ولهذا فإن الزي ، والملبس الذي لا يعكس وضعنا الإقتصادي ، ومحيطنا الإجتماعي ، وبيئتنا الثقافية .. لابد وأن يخلق إنطباعاً خاطئاً لدي الآخرين ؛ فالتقليد الأعمي للآخرين في السلوك ، والملبس ، والثقافة الحياتية اليومية يدعم هذا الإنطباع الخاطيء عنا .. وكما يفقدنا إحترامنا لتراثنا ، فإنه يدفع بالآخرين إلي عدم إحترام قيمنا ، وتراثنا ، بل وإحترامنا لذاتنا . إن مفاهيمنا الشخصية ، وما نتلقاة مخالفاً لواقعنا ، وبيئتنا يجعلنا نصطدم بوقائع ، وأحداث ستأثر علي حياتنا كنتيجة لهذه المفاهيم ، والتلقيات المغايرة .. أو أنها – علي الأقل – لن تمكننا من تأسيس ، وتكوين علاقات سليمة وصادقة مع البيئة المحيطة بنا ، أو الواقع الذي نعيشه إن إختيار الزي ، والملبس الأصيل ، والذي يتفق مع واقعنا، وشخصيتنا الحقيقية بعناية يُبين إلي أي مدي نحن نثق في أنفسنا ، وفي عطاء تراثنا .. وليس من الصواب في شيء بذل العناية الفائقة بالمركات ، والعلامات

التجارية الغالية الثمن في الملبوسات ، بدعوي الموضة ، أو الحداثة العالمية .. إن الهوس الذي يجتاح الشباب في الأزمنة الاخيرة ، والولع بكل ماهو أجنبي ، وخاصه ما هو أمريكي ، أو أوروبي .. انما ينبع ذلك من عدم الإهتمام بالتراث ، وتحقير الذات، والإعلاء من شان الآخر الأمريكي والأوروبى ... إن هذا يتولد عن الشعور بالدونية الذاتية .. وسطوة الإعلام الغربي .. والتسليم بهذه السطوة من قبل القائمين علي حفظ التراث الثقافي للأمة الإسلامية ..إن الصين ، والهند ، واليابان .. وجنوب شرق آسيا قد أخذت بالحداثة والمعاصرة ، دون أن تفقد الآصالة الثقافية التي تحفظ لها قيمها .. أو تُفقدها إحترام ذلك الآخر المتربص .. يجب أن نعلم أطفالنا أصول الزي القومي، وكيف يفتخر به ، وألا يستهجنه .. وأن يتعلم كيف يستفيد من مفردات الحضارة الغربية في الملبس دون أن تطغي علي الزي القومي ..

يجب أن تشيد هنا بالجهد المغربي ، والباكستاني ، والسعودى بل والأفريقي في الحفاظ علي الزي القومي .. فقد تعلموا كيف يحافظوا علي آصالة زيهم .. دون المساس بالقيم الروحية بل سايروها .. حافظوا علي آصالة الجوهر .. ولم يهتموا بحداثة المظهر فقط .. يجب ألا يخجل أطفالنا من لبس الدشداشة أو الثوب ، أو الجلباب .. أو السروال ..

- تقييم الزمن .. وقيمة الوقت :

الوقت كالسيف .. إن لم تقطعه قطعك .. للزمن قيمه وللوقت قيمة .. وعلي التلميذ ، والطالب ، والمتعلم مهما كانت مراحله التعليمية، أو العمرية أن يتعلم كيف يستخدم الوقت المتاح .. وكيف يُقيِّم وقته . وأن يحدد لكل هدف وقته ؛ فللمذاكرة وقتها ، وللتسلية واللعب وقتهم .. وإذا ما تم إستخدام الوقت بالشكل المناسب بمعني الكلمة .. فسيعرف كيف يستريح ، وكيف يعمل ، ويجتهد .. ويجب ألا يُبعد المذاكرة ، وعمل الوجبات الدراسية عن هذا الهدف .. فالتلاميذ الذين يعرفون كيف يفصلون بين وقت النوم ، ووقت اللعب ، ووقت الدرس ، ووقت الراحة والإستجمام ، فهم دائماً ناجحون في حياتهم الدراسية .. ويكونون ناجحون بعد الإنطلاق إلي الحياة العملية ، فالطالب الذي يعرف كيف ينظم وقته بهذا الشكل، يستطيع كذلك أن يعرف كيف يستفيد من أوقات فراغه .. وسيعرف كيف

يطوِّع الوقت لسعادته ، ويُيَسِّره ، معه لسعادته ، وتوفيقه في الحياة .. ويستطيع أن يجعل هذا الوقت طوع بنانه في تنمية شخصيته ، إذا ما إستغله بشكل منظم ، ومرتب . واستطاع أن يستغل أقل وقت متاح حتي في القطار ، أو الحافلة ، أو السيارة، أو السفينة في القراءة ؛ سواء أكانت هذه القراة لكتاب ، أو مجلة أو حتي جريدة ، فلسوف يجد فيها ما يُفيده .

- علاقة الأسرة والمدرسة :

إن دخول الطفل إلي المدرسة ليس معناه إنتهاء دور الأسرة ، بل يجب عليها أن تُتابع وضعه في المدرسة ، وأن يلتقي ولي الأمر بالمعلمين والإداريين في المدرسة ، إذا ما تطلب الأمر ذلك .. وأن يُشارك في مجالس الآباء ، ويرد علي مكاتبات المدرسة ، ويتابع اللقاء مع الآخصائين ، والمشرفين الذين يساعدون علي تفوق طفله ، أو حل مشاكله التي لابد أن تقابله في المدرسة .. فحل هذه المشاكل ، إذا مابدت في حاجه إلي تضافر الجهود ، والتعاون المكثف بين الوالدين والمدرسين .. ومتابعة سير الدراسة مع المعلمين من حين لآخر يدعم عوامل التفوق ، ويحد من تفاقم عوامل الفشل لدي الأبناء، ويزيد ذلك من هوايات الطفل ، ورغبته في إثبات الذات والتفوق ..

إن للمؤسسات التعليمية في وقتنا الراهن مشاكلها المادية ، والمعنوية .. ولن تتمكن هيئة التدريس من التغلب علي هذه المشاكل بمفردها ، بل يجب أن يتعاون معهم الأسر ، والمحيط الإجتماعي ، في دائرة المدرسة .. لابد من تعاون مجالس الآباء ، والجمعيات الخيرية ، وأهل الخير ، ورجال الأعمال في حل هذه المشاكل .. ويمكن أن تتكون جمعيات محبي المدرسة من الإدارة ، والتلاميذ ، وأولياء الأمور ، وخريجي هذه المدرسة الذين أصبحوا في مواقع مرموقة ، أو من أصحاب المقدرة المادية ، بهذه الأمور يشعر الجميع أن هذه المدرسة ملكه الخاص ، يخاف عليها ، ويرعاها ؛ رعاية أمواله الخاصة ، وبيته الخاص به . في مثل هذا الجو ، والمناخ المشبع بمشاعر الحب ، والتعاون ينشيء الطفل وهو يعرف معنى الإنتماء المتدرج من البيت إلي المدرسة ، إلي

الحي أو القرية ، ومنها إلي الوطن ثم الامة كلها .. فالإنتماء سلوك ، ثم وجدنيات . . .

إن مثل هذه الجمعيات ، كما ان هناك جمعيات الإسعاف ، والهلال الاحمر والشبان المسلمين ، وجمعيات محبي الآثار ، وجمعيات اصدقاء البيئة ، وجمعيات تنمية الريف ، والمجتمع ، وجمعيات تحفيظ القرآن ، والحفاظ علي المساجد . . فلماذا لا تكون هناك جمعيات لرعاية المدارس ، وتنمية العلاقة بين الأسرة والمدرسة والبيئة المحيطة بالمدرسة . . في هذا المناخ يتدعم العمل الجماعي ، ويتفاعل الطفل مع بيئته ، ويَزداد في داخل لا شعوره ؛ الشعور الجماعي ، وروح الإنتماء الي الوطن والامه . .

يجب أن تبتعد الأسرة ، كما يجب أن تبتعد المدرسة عن التهرب من تحمل المسئولية، أو الإلقاء بها علي الآخر . . فهذا يغرس في الابناء السلبية . . واللامبالاة . . وعدم الأنتماء يجب عليهما معاً ومع الجمعيات ، والأنشطة ، أن يُهيئوا المناخ المناسب لتربية ، وتعليم مفيد . . . . وفاعل . .

- أطفال ، وشباب العمل :

قد تدفع الحياة ببعض الأطفال ، والشباب الي معترك الحياة العملية في سن مبكرة وكما أن هناك علاقات تربط بين التلاميذ والمعلمين ، فهناك علاقات أيضاً تربط بين الأسطي والصبي . . علاقة نقل الخبرة ، والحرفة من الأسطي إلي الألفه = "القلفه" ومنه إلي الصبي . . هذ العلاقة ؛ هي علاقة حب وإحترام وكما تحدثنا عن العلاقة بين المعُلِّم ، والمتعلم . . فهنا أيضاً العلاقة بين الأسطي أو المعَلِّم والصبي . . هي علاقة إحترام . . يجب علي الصغار ان يحترموا مَنْ يمنحونهم خلاصة تجاربهم . . ويفسحون لهم الطريق في الوقت المناسب لكي يسلكوا مسلكهم ، أو يمتهنوا مهنتهم . . يجب أن يعترف الصبيان لأسطواتهم بالفضل الذي هم فيه بعد ان يستقلوا باعمالهم . . . وحتي لو وقف بعض الإسطوات كعقبة في طريق إستقلال صبيه ، بحجة المنافسة في نفس ساحة العمل . . يجب أن يتسامح الصبي ، ويترفع الأسطي . . فلكل رزقه ، ونصيبه . . وعلي الألفة ، والصبي قبل ان يستقل بحياته العملية أن يسترضي معَلِّمه، ويطلب الإذن من اسطاه ، ويرجو منه الرضاء ، ومباركة العمل قبل أن ينفصل عنه . .

فالشباب .. الألفة .. حتي ولو صار أسطي فهو يظل في حاجة إلي إستشارة مَنْ هم أكثر منه خبرة لمدة ما ..

واجب الشكر للمعلمين والأسطوات :

علي التلاميذ ، والطلاب الذين ينتقلون إلي مرحلة أعلا ، وعلي القلفات الذين إستقلوا بأعمال خاصة بهم ، أن يستغلوا أي مناسبة قومية ، أو دينية وأن يتذكروا أساتذتهم ، وأسطواتهم ، وأن يسألوا عنهم ، وألاَّ يهملوا واجب التهنئة بالعيد ، أو بالمناسبة . الوفاء سمة من السمات المحببة إلي النفس البشرية .. وتليق بالإنسان وإذا ما وَفَيْنا نحن للذين علَّمونا .. وإذا ما تذكرنا السؤال عن كبارنا .. فالأجيال التي تخلفنا ستنقل إلينا ما تعلمته منا .. ويكون الوفاء لنا بنفس القدر الذي كنا به آوفياء لمن سبقونا .. ولمن توفاهم الله ، واجب الدعاء والترحم منا ؛ فكما تدين .. تُدان .. الإحترام ، والحب ، والوفاء ..والبشاشه ميراث توارثته الأجيال الشابة في جميع ربوع أُمتنا علي إختلاف ثقافاتها المحلية .. فسقف الحضارة الإسلامية أشمل .. وينابيع الوفاء فيها رقراقه .. ولم .. ولن تنضب ، ويجب أن نكون أهل لهذا الميراث .. وأن نكون خير خلف لخير سلف ...

* * *